الفصل الخامس

مؤسسة الولاة في عهد عثمان رضي الله عنه

المبحث الأول

أقاليم الدولة في عهد عثمان وسياسته مع الولاة

أولاً: مكة المكرمة:

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووالیه على مكة خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي[1]، وقد أبقاه عثمان رضي الله عنه فترة من الوقت يصعب تحديدها ثم قام بعزله، ولم ترد أخبار عن سبب ذلك، إضافة إلى صعوبة تحديد أهم أعماله، وقد قام عثمان رضي الله عنه بعد عزله بتولية علي بن ربيعة بن عبد العزى، ثم قام عثمان رضي الله عنه بعد ذلك بتولية مجموعة من الأمراء على مكة يصعب تحديد فترات ولايتهم منهم عبد الله بن عمرو الحضرمي، الذي كان أحد عمال عثمان على مكة، كما أن النصوص تثبت أن عثمان رضي الله عنه قد أعاد خالد بن العاص بن هشام على مكة مرة أخرى، وتؤكد بعض المصادر أن عثمان توفي وخالد على مكة، فقام علي رضي الله عنه بعزله وتولية غيره[2].

وهذه الرواية على ما يبدو أثبت من الروايات التي تذكر أن عبد الله بن الحضرمي هو الوالي على مكة حين قتل عثمان[3]، وقد تميزت مكة في عهد عثمان بالهدوء المستمر رغم ما وقع في بعض الأمصار من فتنة في أواخر عهد عثمان[4].

---

(1) تجريد أسماء الصحابة الإمام الذهبي، ص(151).

(2) الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د. عبد العزيز العمري (1/ 166).

(3) نهاية الإرب في فنون الأدب، للنويري (2/ 27).

(4) الولاية على البلدان (1/ 167).

obeikandl.com

ثانياً: المدينة النبوية:

تعد المدينة المنورة من أهم المدن الإسلامية في عهد عثمان، وبها مركز الخلافة، وإليها تفد الوفود من مختلف الأمصار، والأجناد الإسلامية، ويقيم بها كثير من شيوخ الصحابة من المهاجرين والأنصار، وبذلك تكتسب أهمية خاصة، وقد كان عثمان بحكم خلافته مقيماً بها ويتفقد أحوالها، حتى إنه كان يسأل عن أسعار المواد الغذائية وعن أخبار الناس[1]، وكان عثمان رضي الله عنه إذا سافر إلى الحج يستخلف أحد الصحابة على المدينة حتى يرجع، وكثيراً ما كان يستخلف زيد بن ثابت رضي الله عنه[2].

وكان في المدينة بيت مال وديوان للأعطيات كغيرها من الأمصار، وتعتبر المدينة من أكثر الأمصار الإسلامية هدوءاً خلال عصر عثمان سوى ما حدث في أيامه الأخيرة من اضطراب الأحوال فيها بعد وصول جيوش الفتنة وحصار عثمان وخروج بعض كبار الصحابة منها[3].

ثالثاً: البحرين واليمامة[4]:

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي فأقره عثمان عليها فترة من الوقت، وتدل الروايات على أن عثمان بن أبي العاص كان على ولاية البحرين بعد مبايعة عثمان بثلاث سنين أي سنة 27هـ بدليل مشاركته بجيشه مع جيش البصرة في بعض الفتوح[5]، ويبدو أن التعاون الذي بدأ بين ولاية البحرين وولاية البصرة في عهد عمر أخذ يشتد ويقوى في عهد عثمان، خصوصاً بعد تولية (عبد الله بن عامر بن كريز)[6] على البصرة، حيث أصبح عامل البحرين أحد القواد التابعين لعبد الله بن عامر والي البصرة، كما أن النصوص التاريخية تفيد تبعية ولاية البحرين للبصرة ـ إلى حد

(1) تاريخ المدينة (3/ 961، 962).

(2) الولاية على البلدان (1/ 168، 169).

(3) المصدر نفسه (1/ 169).

(4) البحرين: كانت تطلق على المناطق التي تشمل إمارات الخليج العربي والجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية عدا الكويت، وأما اليمامة: فكانت في بلاد نجد.

(5) تاريخ خليفة بن خياط، ص (159)؛ الولاية على البلدان (1/ 169).

(6) الطبقات لابن سعد (5/ 44).

ما ـ واندماجها معها بحيث أصبح ابن عامر يعين العمال عليها من قبله[1].

ويؤكد أحد الباحثين هذا التعاون في قوله: وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ألحقت البحرين بالبصرة عندما أصبحت الأخيرة قاعدة لفتوح فارس وجنوب إيران فصار ولاتها تابعين لأمير البصرة، وقد عزّز هذا صلة البصرة بالبحرين ووثقها[2]، وقد ذُكر من ولاة عثمان على البحرين: مروان بن الحكم، وعبد الله بن سوار العبدي، وقد توفي عثمان وعبد الله على البحرين[3]، وقد كان للبحرين في أيام عثمان دور كبير في بعث الأجناد لفتوح شرق فارس، كما كان لواليها عثمان بن أبي العاص دورٌ كبير في تلك الفتوح[4].

وقد كانت الأوضاع داخل البحرين مستقرة حتى وفاة عثمان، وأما اليمامة فقد كانت في عهد عمر رضي الله عنه تابعة لولاية البحرين وعمان إلى حد كبير، بل إن والي البحرين هو الذي كان يبعث عليها الأمراء أحياناً، أما في عهد عثمان رضي الله عنه فالذي يبدو أن اليمامة كان عليها والٍ من قبل عثمان مباشرة، وقد ورد ذكره في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان مباشرة، إذا وصلته بعض الكتب في تلك الفترة ممن غضبوا لمقتل عثمان[5].

رابعاً: اليمن وحضرموت:

توفي عمر رضي الله عنه وعامله على اليمن (يعلى بن مُنيَة) وكان في طريقه إلى المدينة بناء على طلب عمر؛ إذ جاءه كتاب من عثمان يخبره بوفاة عمر، وبيعة الناس لعثمان، واستعماله من قبل عثمان له على صنعاء، فاستمر على صنعاء إلى وفاة عثمان رضي الله عنه[6]، وكان على مدينة الجند عبد الله بن ربيعة الذي استمر والياً عليها طيلة عهد عثمان رضي الله عنه[7].

(1) الولاية على البلدان (1/ 169).
(2) البحرين في صدر الإسلام، عبد الرحمن بن النجم، ص(141).
(3) الولاية على البلدان (1/ 170).
(4) المصدر نفسه.
(5) المصدر نفسه.
(6) تاريخ الطبري (5/ 442).
(7) تاريخ خليفة بن خياط، ص(179).

ويبدو أن هناك ولاة آخرين كانوا على بقية مدن اليمن، ولكن المصادر الرئيسة ركزت على هذين الواليين في الغالب، كما أن المصادر لم تفصِّل القول في أحداث اليمن خلال عصر عثمان، كما يقل إيرادها للمراسلات بين عثمان وولاته في اليمن سوى ما ذكره من أوامر عامة مرسلة لكافة الولاة[1]، وقد اشتهر عن أهل اليمن خلال عصر عثمان طاعتهم، وانقيادهم لولاتهم، يدل على ذلك ما روي من أن عثمان رضي الله عنه بعث رجلاً ثقفياً إلى اليمن، فلما عاد سأله عثمان عن أهلها فقال: رأيت قوماً ما سئلوا أعطوا حقاً كان أو باطلاً[2]، ومن المعروف: أن العديد من القبائل اليمنية هاجرت خلال الفتوح في أيام عمر بن الخطاب إلى الأمصار الإسلامية الجديدة سواء في العراق أو مصر أو الشام، وبالتالي فإن صلات اليمن وأهلها بهذه الأمصار كانت مستمرة، كما أن الهجرات ـ ولو بشكل فردي من اليمن إلى بقية الأمصار ـ لم تتوقف طيلة عهد عثمان، حيث نجد لأناس من يهود اليمن دوراً خطيراً في أحداث الفتنة التي قامت أواخر عهد عثمان، واستشهد فيها عثمان رضي الله عنه، وعلى رأس هؤلاء الوالغين في الفتنة (عبد الله بن سبأ)، وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه ترك اليمن عدد من ولاتها، وقدموا إلى الحجاز للمشاركة فيما يجري من أحداث ومنهم يعلى بن منية، وعبد الله بن ربيعة[3].

خامساً: ولاية الشام:

حينما جاء عثمان إلى الخلافة، كان معاوية رضي الله عنه والياً على معظم الشام فأقره عثمان عليها[4]، كما أقر بعض الولاة الآخرين على ولاياتهم كاليمن والبحرين ومصر وغيرها من الولايات، وقد تطورت الأحداث وضمت إلى معاوية بعض المناطق الأخرى حتى أصبح معاوية هو الوالي المطلق لبلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان، وأشدهم نفوذاً، وقد كان في بداية خلافة عثمان ولاة آخرون، منهم: عمير بن سعد الأنصاري، وكان على حمص، وينافس معاوية بن أبي سفيان في المكانة لدى عثمان رضي الله عنه، إلا أن عميراً مرض مرضاً أعياه عن القيام بأعباء الولاية، فطلب من الخليفة عثمان أن يعفيه،

(1) الولاية على البلدان (1/ 171).

(2) تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي، حسن سليمان، ص(79).

(3) تاريخ الطبري (5/ 442).

(4) تاريخ خليفة بن خياط، ص(155).

فأعفاه، وضم ولايته إلى معاوية بن أبي سفيان، وبذلك زاد نفوذ معاوية، فامتد إلى حمص التي ولي عليها من قبله عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[1]، كما توفي علقمة بن محرز، وكان على فلسطين فضم عثمان ولايته إلى ولاية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فاجتمعت الشام لمعاوية بعد سنتين من خلافة عثمان رضي الله عنه، وأصبح فيها الوالي المطلق فيها طيلة السنوات الباقية من خلافة عثمان حتى توفي عثمان وهو عليها كما هو معروف[2].

وقد كانت فترة ولاية معاوية على الشام مليئة بالأحداث، كانت الشام من أهم مناطق الجهاد، ومع أن الشام في داخلها قد استقرت أوضاعها وسادها الإسلام وقلت محاولات الروم إثارة القلاقل فيها، إلا أن الشام كانت متاخمة لأرض الروم، وبالتالي كان المجال مفتوحاً أمام معاوية للجهاد في تلك النواحي، وقد تحدثنا عنها فيما مضى.

وقد كان لمعاوية ثقله السياسي في الدولة الإسلامية أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، إذ كان ضمن الولاة الذين جمعهم عثمان ليستشيرهم، حين بدأت ملامح الفتنة تلوح في الأفق، كما ظهرت له آراء خاصة في هذا الاجتماع وجّهها إلى عثمان[3]، وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

سادساً: أرمينية:

بدأت الجيوش الإسلامية بالتوجه إلى أرمينية لأول مرة في عهد عثمان رضي الله عنه، حيث توجه أول جيش إسلامي إلى تلك المنطقة من بلاد الشام، وهي من أقرب الولايات إليها، يقوده حبيب بن مسلمة الفهري وقوامه حوالي ثمانية آلاف مقاتل، واستطاع هذا الجيش أن يفتح العديد من المواقع في أرمينية، إلا أنه أحسّ بالخطر نتيجة تجمع حشود من الروم لمساعدة الأرمن في حروبهم ضد المسلمين، فطلب المساعدة من الخليفة الذي أمر بتسيير جيش من الكوفة قوامه ستة آلاف رجل تقريباً، ويقوده سلمان بن ربيعة الباهلي[4]، وقد حدث نزاع بعد ذلك بين حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة، وقف

(1) تاريخ الطبري (5/ 442).
(2) المصدر نفسه (5/ 443).
(3) الولاية على البلدان (1/ 176).
(4) الطبقات (6/ 131).

الخليفة عثمان عليه، فقام بالكتابة إلى القوم وحل المشكلة التي بينهما[1]، ويبدو أن سلمان بن ربيعة تولى قيادة الجيوش الإسلامية حيث كتب إليه عثمان بإمرته على أرمينية[2]، ثم توغل سلمان بن ربيعة في أرمينية ثم بلاد (الخزر)[3] فاتحاً ومنتصراً، حتى وقعت معركة حامية بين جيشه، وقوامه عشرة آلاف رجل، وجيش ملك الخزر، وقوامه ثلاثمائة ألف رجل ـ كما تقول الروايات ـ فقتل سلمان وجميع جنوده.

وقد كتب عثمان رضي الله عنه إلى حبيب بن مسلمة أن يسير مرة أخرى إلى بلاد أرمينية فاتجه بجيشه، وقام بفتح المواقع مرة بعد أخرى، وثبت أقدام المسلمين فيها، وعقد بعض المعاهدات مع أهل البلاد[4]، ثم رأى عثمان رضي الله عنه أن يوجهه إلى ثغور الجزيرة لخبرته بها، وقدرته عليها، وعيّن مكانه على أرمينية حذيفة بن اليمان بالإضافة لولايته على أذربيجان حيث قام بعدة عزوات نحو بلاد الخزر من أرمينية[5]، وبعدما يقرب من سنة عزله عثمان وولّى على أرمينية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، حتى توفي عثمان وهو عليها وعلى أذربيجان في الوقت نفسه[6]، وتعد هذه الولاية إضافة جديدة أضافها عثمان إلى الدولة الإسلامية ولم تكن فتحت قبله، وقد لقي المسلمون عناءً شديداً في فتحها وتنظيمها وضبط أمورها[7].

سابعاً: ولاية مصر:

كان والي مصر في خلافة عمر بن الخطاب هو عمرو بن العاص الذي حكمها ما يقرب من أربع سنوات[8]، وتوفي عمر وهو وال عليها، وقد أقره عثمان بن عفان في بداية خلافته فترة من الوقت، وكان يساعده في عمله في بعض نواحي مصر عبد الله بن

(1) الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، ص(326).
(2) الفتوح بن أعثم (2/ 112).
(3) الخزر: بلاد الترك في آسيا الوسطى وهي الآن في جنوب روسيا.
(4) الولاية على البلدان (1/ 177).
(5) الولاية على البلدان (1/ 177).
(6) تاريخ اليعقوبي (2/ 168)؛ الولاية على البلدان (1/ 177).
(7) الولاية على البلدان (1/ 177).
(8) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د. جمال الدين بردي (1/ 77).

أبي السرح[1]، الذي كان مصاحباً لعمرو بن العاص منذ أيام فتوحه في فلسطين حيث كان من ضمن قواده واشترك معه في فتوح مصر[2]، وقد عيّنه عمر على بعض صعيد مصر بعد فتحها[3]، ويبدو أن عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي السرح حدث بينهما خلاف في وجهات النظر، فوفد عمرو بن العاص على عثمان بعد مبايعته بالخلافة، وطلب منه عزل عبد الله بن سعد عن ولاية الصعيد، فرفض عثمان ذلك، وذكر له أن عمر هو الذي ولى ابن أبي السرح، وأنه لم يأت بما يوجب العزل، فأصر عمرو على عزله، وأصر عثمان على عدم موافقته، ونتيجة لإصرار كل من الطرفين على رأيه، رأى عثمان أن من الأصلح عزل عمرو عن مصر وتولية عبد الله بن أبي السرح مكانه، وهذا ما حدث بالفعل[4]، وفي هذه الظروف قام الروم بالإغارة على الإسكندرية والاستيلاء عليها، وقتلوا جميع مَن فيها من المسلمين، فرأى أمير المؤمنين تعيين عمرو على جيوش مصر لفتح الإسكندرية من جديد، والقضاء على جيش الروم، وتمّ ذلك فعلاً[5]، وقد فصلت أحداثه في حديثي عن الفتوحات.

ثم إن عثمان أراد أن يعيد عمرو على ولاية أجناد مصر وحربها وأن يجعل عبد الله بن سعد على الخراج، إلا أن عمرو رفض ذلك، وتكاد الأخبار تندر عن ولاية عمرو في مصر خلال عهد عثمان رضي الله عنه سوى ما ورد من دوره في الجهاد، سواء في رد الروم وطردهم عن الإسكندرية وتثبيت الأمن في أنحاء مصر، أو في قضايا الخراج التي دارت فيها بين عثمان وبين عمرو خلافات في الرأي[6]، وبعد عزل عمرو بن العاص عن مصر مرة أخرى، أو عن ولاية الإسكندرية على أرجح الآراء، وبعد رفضه ما اقترحه عثمان رضي الله عنه من ولايته على الأجناد وولاية ابن أبي السرح على الخراج، أقر عثمان عبد الله بن أبي السرح مرة أخرى على مصر، وأصبح هو الوالي الرسمي لمصر، والمدير الفعلي

(1) سير أعلام النبلاء (1/ 33).
(2) المصدر نفسه.
(3) ولاة مصر للكندي، ص(33)؛ فتوح مصر وأخبارها، ص(173).
(4) الولاية على البلدان (1/ 178).
(5) الولاية على البلدان (1/ 178، 179).
(6) الولاية على البلدان (1/ 179)؛ فتوح البلدان، ص(217).

لولاية مصر بأجنادها وخراجها ومختلف شؤونها[1].

وقد كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئة مستقرة إلى أن تمكن مثيرو الفتنة من أمثال عبد الله بن سبأ من الوصول إليها وإثارة الناس فيها، فكان لهم وللمتأثرين بهم دور كبير في مقتل عثمان رضي الله عنه[2]، وسيأتي بإذن الله تعالى تفصيل ذلك.

ثامناً: ولاية البصرة:

استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووالیه على البصرة أبو موسى الأشعري، وكان المجتمع البصري في تلك الفترة قد بدأ يشهد تغيرات أساسية في بنيته المكانية والاجتماعية، حيث أصبحت البصرة من أكبر المعسكرات الإسلامية، إذ هاجر إليها العديد من القبائل، وقام جندها بفتح الكثير من المواقع، وبالتالي اكتسبت أهمية خاصة في بداية عهد عثمان[3]، وقد انشغل الناس بأمورهم الخاصة إضافة إلى الأمور العامة من جهاد وغيره، وبالتالي فإن الولاية على مثل هذه المنطقة وكذلك ما يتبعها من أقاليم أخرى تعتبر مهمة ليست باليسيرة، وتتطلب دراية خاصة بإدارة أحوال تلك الولاية، ولعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحس بمقدرة أبي موسى الخاصة على إدارة تلك الولاية، حيث أوصى الخليفة من بعده أن يترك أبا موسى في الولاية من بعده أربع سنوات بعد وفاته[4].

وقد كانت فترة ولاية أبي موسى للبصرة فترة جهاد وكفاح برز فيها دور أهل البصرة، كما برز فيها أبو موسى رضي الله عنه بفتح العديد من المواقع في بلاد فارس، إضافة إلى تثبيته لأقدام المسلمين في المواقع المفتوحة سابقاً، والتي حاول أهلها الانتقاض بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام أبو موسى بغزوهم، وتثبيت الإسلام في تلك الربوع[5]، وبالإضافة إلى دور أبي موسى في الفتوح فإنه قام بدور مهم في تنظيم الري، وحفر القنوات، والأنهار في البصرة أثناء ولايته زمن الخليفة عثمان، وقد قام بحفر قناة لجلب

(1) الولاية على البلدان (1/ 179).
(2) المصدر نفسه (1/ 186).
(3) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، صالح العلي، ص(141).
(4) سير أعلام النبلاء (2/ 391)؛ الولاية على البلدان (1/ 186).
(5) الولاية على البلدان (1/ 187).

مياه الشرب إلى البصرة اعتمد عليها الناس بعد ذلك في شربهم، كما بدأ في مشاريع لحفر قنوات أخرى، إلا أن عزله عن الولاية حال دون إتمامها[1]، فقام خليفته عبد الله بن عامر بإتمامها[2]، ولم تستمر ولاية أبي موسى على البصرة طويلاً إذ قام عثمان بعزله سنة 29هـ ـ كما ترجح معظم الروايات ـ وعيّن مكانه عبد الله بن عامر بن كريز[3].

ويورد المؤرخون عدة روايات حول عزل أبي موسى، نستخلص منها: أن هناك مشكلة قامت بين أبي موسى وبين جند البصرة اختلف في سببها، وقد قدِمت مجموعة من أهل البصرة إلى عثمان تحرضه على عزل أبي موسى قائلين له: ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه فأبدلنا سواه، قال عثمان: مَن تحبون؟ فقالوا في كل أحد عوضٌ عنه، وطلب قوم من عثمان أن يولي عليهم قرشياً[4]، فعزل عثمان أبا موسى وولى مكانه عبد الله بن عامر، وهنا تتجلى لنا حكمة أبي موسى وسعة صدره وطاعته لأمر الخليفة، وأنه لم يكن يحرص على الولاية كما يظن البعض، فحينما بلغه عزله وتولية عبد الله بن عامر مكانه، صعد المنبر وأثنى على عبد الله بن عامر ـ وكان شاباً صغيراً عمره 25 سنة ـ وكان مما مدحه به أبو موسى قوله: قد جاءكم غلام كريم العمّات والخالات والجدات في قريش يفيض عليكم المال فيضاً[5].

لقد استطاع عثمان رضي الله عنه في تلك الظروف الصعبة التي تمر بها ولاية البصرة أن يعين قائداً جديداً يستجيب له الأجناد، وبالتالي توحّدت صفوفهم أمام الأعداء، فضلاً عن أن هذا العزل تكريمٌ لأبي موسى مَن أن يُهان من قبل بعض العوام، ممن تأثروا بالغوغاء وأفكار المتمردين المنحرفة ممن حملوا في نفوسهم كراهيته والتشهير به، والتفّوا عليه[6]، وقد كانت ولاية البصرة تمرّ بظروف صعبة حينما تولى ابن عامر، مما دفع عثمان رضي الله عنه إلى إجراء تغيير أساسي في إدارة الولاية، إذ أنه ضم أجناد البحرين وعمان إلى ابن عامر في البصرة حتى يعطيه سلطة أقوى للوقوف أمام التحديات التي تواجهه في تلك الفترة.

(1) الولاية على البلدان (1/ 187).
(2) المصدر نفسه.
(3) تاريخ الطبري (5/ 264).
(4) المصدر نفسه.
(5) المصدر نفسه (5/ 266)؛ سير أعلام النبلاء (3/ 19).
(6) الولاية على البلدان (1/ 189).

وقد كان لهذا الدمج أثره الكبير على قوة ابن عامر ونفوذه، كما أنه أثر من ناحية أخرى على البصرة نفسها، حيث أصبحت إحدى العواصم الإسلامية المستقرة، وزادت هجرة القبائل إليها أكثر من ذي قبل[1]، وبالتالي زادت أعباء الولاية سواء في الديوان، أو في تنظيم مختلف شؤون الولاية الإدارية والمالية والأمنية وغيرها.

وقد كانت لولاية البصرة وأجنادها، ولابن عامر نفسه فتوح عظيمة بدأت بعد ولايته مباشرة، وانتهت قبيل مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه[2].

وقد تم بيانها عند حديثنا عن فتوحات عثمان رضي الله عنه. وقد اكتسبت البصرة أيام ابن عامر مكانة خاصة بين الولايات الإسلامية لفتت نظر الخليفة عثمان رضي الله عنه نتيجة فتوحها وتوسعها في مختلف المجالات، فأصبحت مركزاً إدارياً مرموقاً[3]، وتدار منها العديد من المناطق الإسلامية، وكان ابن عامر مسؤولاً عن توزيع الأمراء في مختلف المناطق التابعة لولايته، باتفاق مسبق مع الخليفة عثمان رضي الله عنه. وبالتالي كانت مسؤولياته عظيمة، وقد قام ابن عامر بتوزيع الأمراء على المناطق التابعة له بمجرد أن تولى الإمارة حيث اختار بعض القواد والأمراء وعيّنهم على تلك المناطق، ومن أهمها: عُمان والبحرين وسجستان وخراسان وفارس والأهواز، بما في هذه المناطق من مدن مختلفة ومناطق شاسعة[4]، وكان يجري تنقلات بين هؤلاء الأمراء والعمال من وقت لآخر تبعاً للمصلحة في ذلك، كما اشتهرت البصرة في أيامه ببيت مالها؛ الذي زاد دخله في أيامه وكثرت مصروفاته، وكان المسؤول عن بيت المال في أيام عمر زياد بن أبي سفيان، وقد كان يلي بعض المشاريع من حفر للأنهاري وغيرها نيابة عن ابن عامر[5]، وفي ولاية ابن عامر ضربت الدراهم في أنحاء فارس التابعة لولايته، وعليها ألفاظ عربية في الفترة من سنة 30هـ حتى 35هـ[6].

(1) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، في القرن الأول الهجري، صالح العلي، ص(141).
(2) الولاية على البلدان (1/ 189).
(3) المصدر نفسه (1/ 193).
(4) نهاية الإرب (19/ 433).
(5) الولاية على البلدان (1/ 194).
(6) الدراهم الإسلامية، وداد على القزاز، ص(14).

وقد كان ابن عامر محبوباً لأهل البصرة عموماً منذ قدومه إليها، ورغم ما أثير حوله من أن عثمان ولاّه لأنه قريب له، إلا أن أهل البصرة تمسكوا به[1].

ومن خلال هذا العرض تبين: أن ولاية البصرة في عهد عثمان انحصرت في رجلين هما أبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عامر، ولقد كان لكلا الواليين دوره الرئيس في ضبط أمور البصرة، وما يتبعها[2].

تاسعاً: ولاية الكوفة:

كان على ولاية الكوفة حين بويع عثمان بالخلافة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وكان قد تولى في أواخر عهد عمر رضي الله عنه[3]، وقد قام عثمان رضي الله عنه بعزل المغيرة عن الكوفة وتعيين سعد بن أبي وقاص مكانه، وقد ذكر في سبب العزل: أنه كان بوصية من عمر رضي الله عنه، حيث أوصى الخليفة من بعده أن يستعمل سعداً نظراً لأن عمر عزله عن الكوفة في أواخر خلافته، وقال: إني لم أعزله عن سوء ولا خيانة، وأوصي الخليفة بعدي أن يستعمله[4]، تولى سعد بن أبي وقاص على الكوفة وكان قرار التعيين مشتركاً بين سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، سعد على الصلاة والجند، وابن مسعود على بيت المال[5]، وقد كان سعد بن أبي وقاص صاحب خبرة في ولاية الكوفة، وله معرفة تامة بأمورها وسكانها وثغورها وأجنادها، نظراً لأنه كان مؤسسها في عهد عمر، كما أنه وليها عدة سنوات، فكان أخبر الناس بها وأعلمهم بأحوالها[6].

ومن الأعمال التي قام بها سعد أثناء ولايته في عهد عثمان على الكوفة قيامه بزيارة بعض الثغور التابعة للكوفة، ومنها (الري) وترتيب أمورها وضبطها سنة 25هـ[7]، وكذلك قيامه بتعيين بعض الأمراء، والعمال الجدد في (همذان) وما حولها، ولم تطل فترة ولاية

(1) الولاية على البلدان (1/ 194).
(2) المصدر نفسه (1/ 195).
(3) تاريخ الطبري (5/ 239).
(4) المصدر نفسه (5/ 225).
(5) تاريخ الطبري (5/ 250)؛ الولاية على البلدان (1/ 196).
(6) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(105)؛ الولاية على البلدان (1/ 196).
(7) الولاية على البلدان (1/ 197).

سعد بن أبي وقاص على الكوفة، إذا حدث بينه وبين عبد الله بن مسعود خلاف، وكان ابن مسعود على بيت المال، فاقترض منه سعد شيئاً من الأموال إلى أجل، فجاء الأجل ولم يكن عند سعد ما يسدّ به ذلك القرض، فجاءه ابن مسعود يطالبه بتسديد ذلك القرض، فاشتدا في الكلام واجتمع حولهما الناس، فقرر عثمان عزل سعد وإبقاء ابن مسعود، فكانت عقوبة سعد، العزل وعقوبة ابن مسعود الإقرار في العمل كما يقول الطبري[1].

وهذه القصة تدلنا على تورع كلا الصحابيين، وتدل على حاجة سعد إلى المال، وعدم وجود ما يكفيه، وأنه ـ لذلك ـ اضطر إلى الاقتراض من بيت المال، كما تدل على اجتهاد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في حفظ أموال المسلمين، وإصراره على استرداد القرض من سعد والي الكوفة وحاكمها، وكانت ولاية سعد على الكوفة سنة وشهراً[2]، وبعد عزل سعد ولّى عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي كان قبل تعيينه على الكوفة قد عمل قائداً لجيش من جيوش أبي بكر في الأردن، ثم عمل لعمر على عرب الجزيرة[3].

وفي أواخر خلافة عمر، وأوائل خلافة عثمان كان الوليد أحد قواد أجناد الكوفة، وقام بالجهاد في العديد من المواقع قائداً لتلك الأجناد[4]، فكان قبل تعيينه على ولاية الكوفة صاحب خبرة بالكوفة وأجنادها، وثغورها ومختلف شؤونها، وكعادة الخلفاء الراشدين في تفضيل أصحاب الخبرة في المنطقة على غيرهم عند الحاجة إلى تعيين ولاة جدد، فقد وقع اختيار عثمان رضي الله عنه على الوليد بن عقبة لولاية الكوفة. وكثير ممن كتبوا عن تعيين عثمان رضي الله عنه للوليد سواء من المتقدمين، أو من المتأخرين حاولوا اتهام عثمان في هذا التعيين، فهم يقولون: إن عثمان استعمل على الكوفة أخاه لأمه الوليد بن عقبة[5]، وهذا فيه غمز مباشر لعثمان رضي الله عنه[6]، وفي بداية ولاية الوليد كان يشترك معه

(1) تاريخ الطبري (5/ 251).
(2) المصدر نفسه (5/ 250).
(3) المصدر نفسه (1/ 251).
(4) الولاية على البلدان (1/ 198).
(5) المصدر نفسه (1/ 198).
(6) انظر الاتهامات التي ألقاها طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى (1/ 94).

عبد الله بن مسعود، حيث كان والياً على بيت المال إلا أن خلافاً حدث بين الوليد وعبد الله بن مسعود على أمر يتعلق بأموال الدولة، ورفع النزاع إلى عثمان ليفصل فيما يراه، فرأى عثمان رضي الله عنه أن من المصلحة توحيد الولاية وبيت المال في يد الوليد وعزل عبد الله بن مسعود، وقد اعتقد أن المصلحة العامة تقتضي ذلك الضم[1].

وقد بقي الوليد بن عقبة في الكوفة محبوباً من أهلها، ليس على داره باب[2]، يستقبل الناس في مختلف الأوقات ليحل مشكلاتهم، ويقوم بالواجبات الملقاة عليه، إلى أن وقعت بعض الحوادث في الكوفة أوجدت بعض الحاقدين عليه بسبب موقفه الحازم في قضية ابن الحيمان الخزاعي، الذي قتله مجموعة من شباب الكوفة، فأقام الوليد بن عقبة بأمر من عثمان رضي الله عنه حد القصاص على هؤلاء الشباب المعتدين، ومنذ تلك الحادثة أخذ أولياء هؤلاء المجرمين وأقاربهم يروّجون الشائعات على الوليد بن عقبة، ويحاولون جاهدين أن يتصيدوا أخطاء الوليد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، واستطاع أولئك الموتورون تلفيق قضية ضد الوليد، وهي دعوى شربه الخمر، التي سببت إقامة الحد عليه، وعزله عن ولاية الكوفة، وهذا ما أراده المتآمرون[3]. وسيأتي تفصيل قضية شرب الوليد بن عقبة للخمر عند حديثنا عن ولاة عثمان رضي الله عنه بإذن الله تعالى.

وبعد عزل الوليد أرسل عثمان إلى أهل الكوفة كتاباً جاء فيه: من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، سلام أما بعد: فإني استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولت منعته، واستقامت طريقته، وكان من صالحي أهله وأوصيته بكم ولم أوصكم به، فلما بدا لكم خيره وكف عنكم شره، وغلبتكم علانيته طعنتم به في سريرته والله أعلم بكم وبه، وقد بعثت عليكم سعيد بن العاص أميراً[4].

وكانت شكاية أهل الكوفة للوليد وعزله حلقة في سلسلة طويلة من الشكايات والعزل من قِبَل بعض أهل الكوفة لأمرائهم[5]، وقد غضب الكثير من أهل الكوفة لعزل

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(108).
(2) تاريخ الطبري (5/ 251).
(3) الولاية على البلدان (1/ 201).
(4) تاريخ الطبري (5/ 280).
(5) الولاية على البلدان (1/ 206).

الوليد، وبعد عزل عثمان رضي الله عنه للوليد عن ولاية الكوفة عيّن بعده سعيد بن العاص سنة 30هـ الذي كان مقيماً في المدينة فاتجه إلى الكوفة، ورافقه وفد من أهل الكوفة الذين قدموا على عثمان في شكاية الوليد، وكان فيهم الأشتر النخعي وغيره[1]، فلما وصل سعيد الكوفة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد بعثت إليك، وإني لكاره، ولكني لم أجد بدّاً إذ أمرت أن أأتمر، إلا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعيني، وإني الرائد نفسي اليوم. ثم نزل عن المنبر[2].

ومن خلال هذه الخطبة يتبين لنا معرفة سعيد ببدايات الفتنة، وإرهاصاتها التي بدأت تظهر في الكوفة قبل ولايته، وتهديده لأصحاب الفتنة، وعزمه على القضاء على الفتنة التي استشعر بدايتها في الكوفة[3]، واستطاع سعيد بن العاص أن ينظم أمور ولايته ويعيِّن الأمراء والولاة في مختلف الثغور التابعة للكوفة ويضبط أمورها[4]، وقام بغزوات ناجحة تمّ ذكرها عند حديثنا عن الفتوحات في عهد عثمان، ثم بدأت الفتنة تطل برأسها في الكوفة سنة 33هـ، وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى بالتفصيل، ودّبر الأشتر النخعي مؤامرة ضد سعيد بن العاص، وانخدع بها بعض عوام الكوفة فقاموا مع الأشتر في رفض ولاية سعيد، والطلب من عثمان إبداله بغيره، ولم يكن سعيد سوى والٍ من الولاة الذين سبق لأهل الكوفة أن اعترضوا عليهم وطلبوا عزلهم قبل ذلك، كسعد بن أبي وقاص والوليد بن عقبة وغيرهما، وكان طلب خلعه مقروناً بثورة حمل الغوغاء فيها السلاح، وهي سابقة خطيرة في تاريخ الكوفة، بل وفي تاريخ الدولة الإسلامية كلها، وليس فيها سبب حقيقي، وإنما السبب الحقيقي هو تطور الأوضاع، والتغيُّر الذي طرأ على نفوس الناس بتأثير دعاة الفتنة والخروج على عثمان، وقد أصدر الخليفة عثمان رضي الله عنه أمراً بتولية أبي موسى الأشعري على الكوفة، وعزل سعيد بن العاص بناءً على طلب بعض أهل الكوفة، وقد استهل أبو موسى ولايته بخطبة أمام أهل الكوفة قال فيها: أيها

(1) تاريخ الطبري (5/ 280).
(2) تاريخ الطبري (5/ 280).
(3) الولاية على البلدان (1/ 207).
(4) المصدر نفسه (1/ 208).

الناس! لا تنفروا في مثل هذا، ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعجلة! اصبروا، فكأنكم[1] بأمير. قالوا: فَصَلّ بنا. قال: لا إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان[2].

وقد كتب عثمان إلى أهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فقد أمرّت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد، ووالله لأفرشنكم عرضي ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي! فلا تدعوا شيئاً أحببتموه، لا يعصى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عندما أحببتم؛ حتى لا يكون لكم عليّ حجة[3].

وقد استمر أبو موسى رضي الله عنه والياً على الكوفة حتى قتل عثمان رضي الله عنه[4]، وهكذا نجد أن ولاية الكوفة في خلافة عثمان رضي الله عنه قد تولى عليها خمسة ولاة ابتداء بالمغيرة بن شعبة وانتهاء بأبي موسى الأشعري، وقد حفلت فترة الولاية لكل من هؤلاء الخمسة بالعديد من الحوادث التي برزت على ساحة الأحداث، وكان لها تأثير مباشر على مسيرة الدولة الإسلامية، وقد نمت الفتنة في الكوفة، واشتهر عن أهلها تسلطهم على ولاتهم، ورفضهم لهم في كثير من الأحيان مهما استرضوهم، فقد شكوا سعد بن أبي وقاص، وشكوا الوليد بن عقبة، وطردوا سعيد بن العاص، ولعلنا نتذكر هنا: أنهم أتعبوا عمر قبل عثمان، حتى قال فيهم: من عذيري من أهل الكوفة؟!

وقد كان لبعض أهل الكوفة دور مباشر ورئيس في مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه. وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض الولايات المتفرعة من ولاية الكوفة كطبرستان، وأذربيجان، وبعض المناطق الأخرى شمالي بلاد فارس[5]، ومما يؤيد ارتباطها بالكوفة: أن ولاة الكوفة، ومنهم سعيد بن العاص هم الذين كانوا يتولون الفتوح في نواحيها، كما كانوا يؤدبون أهلها في حال عصيانهم، وقد لعبت هذه الولايات الفرعية دوراً مرتبطاً بدور

(1) المراد اصبروا فإن معكم أميراً الآن إن سمعتم وأطعتم.
(2) تاريخ الطبري (5/ 339).
(3) تاريخ الطبري (5/ 343).
(4) المصدر نفسه.
(5) الولاية على البلدان (1/ 213).

الكوفة أيضاً إلى حد كبير[1].

ومن خلال العرض السابق للولايات الإسلامية في عهد عثمان يتبين لنا أن هناك ولايات تمتعت بالاستقرار طيلة عهد عثمان رضي الله عنه، ومنها الولايات الواقعة في بلاد العرب كالبحرين، واليمن، ومكة، والطائف، وغيرها، كما تمتعت الشام بالاستقرار أيضاً طيلة خلافة عثمان رضي الله عنه، وأما البصرة فقد شغل أهلها بالفتوح مع واليهم عبد الله بن عامر، وأما مصر والكوفة فقد حدث فيهما الاضطراب في أواخر خلافة عثمان وبالتالي ولدت فيهما الفتنة، وأقدم أناس من أهلها على غزو المدينة، وعلى قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه بدلاً من غزو أعداء الإسلام[2].

المبحث الثاني

سياسة عثمان مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم

أولاً: سياسة عثمان مع الولاة:

تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة في بداية سنة (24)هـ، وكان ولاة عمر رضي الله عنه ينتشرون في الأمصار الإسلامية، وقد أقرهم عثمان في ولاياتهم عاماً كاملاً، ثم باشر بعد ذلك العزل، والتعيين في هذه الأمصار بمقتضى سلطته، وحسب ما يراه في مصلحة المسلمين، ولعل عثمان في ذلك قد اتبع وصية عمر رضي الله عنه التي أوصى فيها: ألّا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين[3].

وكان عثمان رضي الله عنه في سياسته مع الولاة يعتمد على مشورة الصحابة في كثير من تصرفاته، كما أنه قام بضم بعض الولايات إلى بعضها، لما يراه في مصلحة المسلمين، ولذلك قد حدّد الولاة إلى حد ما في بعض المناطق، كما ضم البحرين إلى البصرة، كم ضم بعض ولايات الشام إلى بعضها الآخر نتيجة لوفاة بعض الولاة، أو طلبهم الإعفاء من العمل، وقد كان عثمان رضي الله عنه دائم النصح لولاته بالعدل والرحمة بين الناس؛ فكان أول كتبه إلى ولاته بعد مبايعته خليفة للمسلمين: أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا

(1) الولاية على البلدان (1/ 213).
(2) المصدر نفسه (1/ 214).
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 391).

رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك، انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين، وفيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوا بالذي عليهم، ثم العدو الذي تتابون، فاستفتحوا بالوفاء[1].

ونحن نرى من هذا أن عثمان حدد لولاته معالم السياسة، التي يجب أن يسيروا عليها، من إعطاء الحقوق للمسلمين، ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وإعطاء أهل الذمة حقوقهم ومطالبتهم بما عليهم من واجبات، وبالوفاء حتى مع الأعداء وبالعدل في ذلك كله، وأن لا يكون همهم جباية المال[2]، كما كان عثمان رضي الله عنه يكتب إلى عماله ببعض التعليمات الخاصة في الأمور المستجدة، التي تتعلق بإدارتهم للولايات، إضافة إلى كتبه العامة والتي كان يصدر فيها تعليمات محددة يلتزم بها الجميع، ومن ذلك إلزامه الناس في الولايات بالمصاحف التي كتبت في المدينة على ملأ من الصحابة، حيث أرسل مصاحف إلى كل من الكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والبحرين واليمن والجزيرة - بالإضافة - إلى مصحف المدينة[3]، وقد أمر عثمان بجمع المصاحف الأخرى، وإحراقها، وذلك بموافقة الصحابة في المدينة، كما ورد ذلك عن عليّ رضي الله عنه[4]، كم كان عثمان رضي الله عنه حريصاً على أن يتنافس الأمراء فيما بينهم في الجهاد، وفتح بلدان جديدة، فقد كتب إلى عبد الله بن عامر في البصرة، وإلى سعيد بن العاص في الكوفة يقول: أيكما سبق إلى خراسان، فهو أمير عليها، مما دفع ابن عامر إلى فتح خراسان وسعيد بن العاص إلى فتح طبرستان[5].

وقد كان عثمان يشترط بعض الشروط على الولاة أحياناً ليضمن أن يكون تصرفهم في صالح المسلمين، ومثال ذلك: أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عثمان يهوّن عليه

(1) تاريخ الطبري (5/ 244).
(2) الولاية على البلدان (1/ 215).
(3) تاريخ المدينة، أبو زيد البصري (3/ 997).
(4) المصدر نفسه (3/ 995، 996).
(5) تاريخ اليعقوبي (2/ 166).

ركوب البحر إلى قبرص، فكتب إليه عثمان: فإن ركبت البحر ومعك امرأتك، فاركبه مأذوناً لك وإلا فلا، فركب البحر، وحمل امرأته[1].

ثانياً: أساليب عثمان رضي الله عنه لمراقبة عماله والاطلاع على أخبارهم:

اتبع عثمان رضي الله عنه عدة أساليب لمراقبة عماله، والاطلاع على أخبارهم، من ذلك:

1 ـ حضوره لموسم الحج:

كان عثمان يحرص على الحج بنفسه ويلتقي بالحجاج ويسمع شكاياتهم، وتظلُّمهم من ولاتهم، كما أنه طلب من العمال أن يوافوه في كل موسم، وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم[2]، وكان ذلك استمراراً لما كان عليه الحال أيام عمر من لقاء سنوي بين الخليفة والولاة والرعية[3].

2 ـ سؤال القادمين من الأمصار والولايات:

وتعتبر هذه الطريقة من أيسر الطرق حيث إنها لا تكلف الخلفاء كثيراً، كما أنها تأتي في كثير من الأحيان دون ترتيب مسبق، وقد اشتهر عن الخلفاء الراشدين الأربعة عملهم بهذه الطريقة، وكان وجود الخليفة في المدينة المنورة خلال عصور الخلفاء الثلاثة الأول مما يساعد الخليفة نظراً لكثرة الوافدين إلى المدينة للزيارة، وخصوصاً أثناء موسم الحج[4].

3 ـ وجود أناس من أهل البلاد يكتبون إلى الخليفة:

فقد استقبل عثمان رضي الله عنه الكتب التي أرسلها بعض الرعية من الأمصار إلى المدينة بما فيها من شكاوى، فقد استقبل كتاباً أرسله أهل الكوفة إليه، وكذلك كتاباً أرسله أهل مصر إليه، كما استقبل كتباً أخرى أرسلها أناس من الشام، وقد اطلع عثمان على ما في هذه الكتب وعالج ما فيها[5].

---

(1) الولاية على البلدان (1/ 216)؛ الخراج وصناعة الكتابة، ص(306).
(2) الولاية على البلدان (1/ 216) نقلاً عن تاريخ الطبري.
(3) المصدر نفسه (1/ 216).
(4) الولاية على البلدان (2/ 122).
(5) الولاية على البلدان (1/ 217).

4 ـ إرسال المفتشين إلى الولايات:

بعث عثمان رضي الله عنه العديد من المفتشين إلى بعض الولايات للاطلاع على أحوالها، ومعرفة ما يشاع عن ولاته من ظلم للرعية، وقد جاء أولئك المفتشون بتقارير وافية عن أحوال أولئك الولاة[1]، فقد أرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، ومحمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، بالإضافة إلى إرساله رجالاً آخرين إلى أماكن أخرى[2].

5 ـ السفر إلى الولايات والاطلاع على أحوالها مباشرة:

كان عثمان رضي الله عنه يزور مكة في موسم الحج ويطلع على أحوالها، ويقابل الولاة بها وحجاج الأمصار، ويسأل عن أخبارهم، وأحوالهم.

6 ـ طلب الموفدين من الولايات لسؤالهم عن أمرائهم وولاتهم:

كان الخلفاء الراشدون في كثير من الأحيان يطلبون من الولاة أن يبعثوا إليهم بأناس من أهل البلاد ليسألوهم، وقد تكرر ذلك من عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، أما أبو بكر فكان مشغولاً بأمور جهادية منعته من ذلك، كما كان لقصر مدة خلافته دور في قلة هذه الحوادث[3].

7 ـ استقدام الولاة وسؤالهم عن أحوال بلادهم:

وقد اشتهرت هذه الطريقة خلال عصر الخلفاء الراشدين الأربعة، وقد كانت الاتصالات المستمرة قائمة بين الخليفة عثمان، وبين ولاته لبحث مختلف شؤون الدولة، ومن أهم هذه الاتصالات الاجتماع الذي عقده عثمان مع ولاته في المدينة، حيث دعا ولاة البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرهم، ودعا كبار الصحابة، وعقد معهم اجتماعاً بحث فيه بوادر الفتنة التي بدأت تظهر، وتعرّف على آراء أولئك الولاة في الفتنة، وكيفية علاجها، فقد أدلى كل وال من هؤلاء برأيه في علاج تلك الظاهرة[4].

---

(1) الولاية على البلدان (1/ 217).

(2) المصدر نفسه.

(3) الولاية على البلدان (2/ 122).

(4) الولاية على البلدان (2/ 123).

8 ـ المراسلة مع الولاة:

وطلب التقارير منهم عن أحوال رعيتهم وأحوال بلادهم، وقد اشتهرت هذه الطريقة خلال عصور الخلفاء الراشدين الأربعة، وكانت بالأحرى أهم الطرق خلال عصر أبي بكر الصدِّيق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما[1].

هذه أهم الأساليب التي اتبعها عثمان في متابعة ومراقبة ولاته، وقد كان رضي الله عنه حريصاً على قيام الولاة بواجباتهم، وفي حالة وقوع أيّ مخالفة منهم، فإنه يؤدبهم على ذلك الخطأ إذا وصل إلى علمه، وإذا ثبت عليه ارتكابه؛ شرع في عقوبته دون النظر إلى حسن ظنه في العامل، ومن ذلك جلده للوليد بن عقبة حد الخمر بعد اكتمال شروطه وبغض النظر عن صدق الشهود من عدمه[2]، وقام بعد جلده بعزله عن ولاية الكوفة[3]، وقد درج عثمان رضي الله عنه أن يكتب إلى أهل الأمصار عن تعيين وال جديد عليهم، ليوصيهم به كما أوصاه بهم، وكذلك كان يكتب في كثير من الأحيان إلى العامة في الأمصار ناصحاً، حتى يساعد الولاة في تسيير أمور الرعية. ومن ذلك الكتاب الذي أرسله عثمان إلى الأمصار، يقول فيه: أما بعد: فإني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يرفع عليَّ شيء، ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته، وليس لي، ولا لعيالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم، فيا مَن ضُرب سراً وشُتم سراً... مَن ادّعى شيئاً من ذلك، فليواف الموسم فيأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي... أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان[4].

ثالثاً: حقوق الولاة:

استقر في عهد الخلفاء الراشدين بأن للولاة حقوقاً مختلفة، يتصل بعضها بالرعية، وبعضها بالخليفة، بالإضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال، وكل هذه الحقوق الأدبية أو المادية تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاة على القيام، بواجباتهم وخدمة

(1) الولاية على البلدان (2/ 122).
(2) المصدر نفسه (2/ 126).
(3) المصدر نفسه (2/ 217).
(4) تاريخ الطبري (5/ 349).

المصلحة العامة، ومن أهم هذه الحقوق:

1 ـ الطاعة في غير معصية الله:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النّساء: 59].

قال القرطبي: لما تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة، وبدأ بهم فأمرهم بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، تقدم في هذه الآية فأمر الرعية بطاعته جلَّ وعلا أولاً وهي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ﷺ ثانياً فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثاً، على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم[1]، وفي العهد الراشدي خصوصاً، والمجتمع الإسلامي عموماً، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم، ولهذا فإن طاعة الحكام مقيدة دائماً بطاعة الله ورسوله، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف**»[2].

2 ـ بذل النصيحة للولاة:

من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الأساس الذي تقره الأمة بأكملها، والذي وردت الأوامر به من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه العموم، ومنها ما خص الولاة به، حيث أمرت الأحاديث النبوية ببذل النصيحة لهم، وقد دأب الخلفاء الراشدون الأربعة على الكتابة لولاتهم باستمرار يبذلون لهم النصيحة، والنصوص الواردة في هذه كثيرة، يصعب حصرها[3].

3 ـ يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه:

والصدق في ذلك سواء ما يخص أحوال العامة، أو ما يخص أخبار الأعداء، أو ما كان متعلقاً بعمال الوالي وموظفيه، والعجلة في ذلك قدر المستطاع خصوصاً ما كان

---

(1) تفسير القرطبي (5/ 259).

(2) البخاري، كتاب الأحكام رقم (7145).

(3) الولاية على البلدان (2/ 56).

متعلقاً بالأمور الحربية، وأخبار الأعداء، وما يتعلق بخيانات العمال وغير ذلك، من منطلق الاشتراك في المسؤولية مع الوالي في مراعاة المصلحة العامة للأمة[1].

4 ـ مؤازرة الوالي في موقفه:

وعندما اندلعت الفتنة، وطالب أصحابها من عثمان عزل بعض ولاته، رفض عثمان ذلك، وكان هذا التعضيد يخدم الهدف العام للدولة الإسلامية، ويمنع الاضطراب، ولا يعني ذلك عدم الالتفات إلى الشكاوى، ومؤازرة الولاة بدون تحقق، بل إن هذا التعضيد من الخلفاء إنما يأتي بعد تحقق وتثبت من تلك الشكايات، وبعد محاسبة دقيقة قد تتطلب إرسال لجان خاصة من بعض الصحابة للتحقيق في تلك القضايا، وكما أن المؤازرة للوالي واجبة من قبل الخليفة، فهي كذلك واجبة من قبل الرعية، وأن على الناس احترامهم وتقديرهم[2] وإن كان عثمان رضي الله عنه قد عزل بعض الولاة وذلك لما رآه في مصلحة الرعية.

5 ـ احترامهم بعد عزلهم:

ومن ذلك ما فعله عثمان مع أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، بل نلاحظ أن عثمان استشار عمرو بن العاص في مسائل الدولة الكبرى بعد عزله، وهذا احترام فائق من عثمان رضي الله عنه لمن عزلهم من الولاة.

6 ـ مرتبات الولاة:

ومن حقوق الولاة مرتباتهم التي يعيشون عليها، ومبدأ الأرزاق والرواتب للعمال متفق عليه بين الخلفاء الراشدين اقتداء بما فعله الرسول ﷺ، ولئن كانت الروايات قد اقتصرت على ذكر مرتبات بعض العمال فقط، فإن المفهوم أن جميع العمال كانت لهم مرتبات خلال عصور الراشدين، ومعظم الروايات التي وردت في هذا الموضوع كانت تركز بالدرجة الأولى على عصر عمر بن الخطاب، حيث ورد ذكر مقدار أرزاق بعض الولاة في عصره، وقد مضى عثمان وعلي رضي الله عنهما على سيرة مَن سبقهما من الخلفاء في

(1) الولاية على البلدان (2/ 57).
(2) المصدر نفسه (2/ 58).

فرض الأرزاق للعمال والولاة، إلا أن عصر عثمان رضي الله عنه كان على ما يبدو أكثر توسعاً في بذل الأعطيات للناس عموماً ومن ضمنهم الولاة، نظراً لزيادة الدخل في بيت المال نتيجة الفتوحات الواسعة التي قام بها ولاة عثمان في المشرق وفي أرمينية وأفريقية وغيرها، بل إن عثمان رضي الله عنه كان يعطي مكافآت مقطوعة للعمال خاصة وبارزة، فقد أعطى لعبد الله بن سعد بن أبي السرح خمس الخمس من الغنيمة جزاء فتوحه في شمال أفريقيا، حيث قال له: إن فتح الله عليك غداً أفريقية فلك ما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً[1]، وعلى كل حال فإن إعطاء الأرزاق للعمال وإغناءهم عن الناس، كان مبدأً إسلامياً فرضه رسول الله ﷺ، وسار عليه الخلفاء الراشدون من بعده، حتى أغنوا العمال عن أموال الناس، وفرغوهم للعمل، ولمصلحة الدولة[2].

رابعاً: واجبات الولاة:

1 ـ إقامة أمور الدين، ومن أبرز تلك الواجبات:

أ ـ نشر الدين الإسلامي بين الناس، حيث اختص ذلك العصر بفتوحات عظيمة اقتضت من الولاة العمل على نشر الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة، وقد كان الولاة يقومون بهذه المهمة مع وجود مَن يساعدهم في بداية الفتوح في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم بدأت الأمصار تعتمد على معلمين وفقهاء قدموا لهذه المهمة بعد التوسع، وبناء الأمصار في عهد عمر، وقد تأكد وجود المعلمين بعد ذلك، خلال الفترة الأخيرة من خلافة عمر، وخلال فترة خلافة عثمان وعلي، وذلك لكثرة السكان في الأمصار وكثرة طلاب العلم وانشغال الولاة بأمور مختلفة، وتوسع الولايات حيث كانت تتبع الولاية الواحدة العديد من الأمصار التي كان الناس فيها بحاجة إلى فقهاء ومعلمين[3].

ب ـ إقامة الصلاة:

كان الخليفة نفسه طيلة عصر الخلفاء الراشدين الأربعة هو الذي يقيم صلاة الجمعة

(1) تاريخ الطبري (5/ 252).

(2) الولاية على البلدان (2/ 64).

(3) الولاية على البلدان (2/ 66).

والجماعة، والأعياد في البلد الذي يقيم فيه، ويخطب في الناس الجمعة والأعياد والمناسبات الأخرى، وكذلك نوابه يقومون بهذه المهمة في أمصارهم، وطيلة عهد الخلفاء الراشدين كان الولاة يخطبون في الناس بأنفسهم ويؤمّونهم في الصلاة[1].

ج ـ حفظ الدين وأصوله:

كان الخلفاء الراشدون بعد وفاة الرسول ﷺ يشعرون بعظم الواجب الملقى عليهم في حفظ الدين على أصوله الصحيحة التي نزلت على رسول الله ﷺ، وكانوا يعملون جاهدين في إحياء سنة الرسول ﷺ والقضاء على البدع، والعمل على احترام دين الله، واحترام رسوله ﷺ، وردّ كيد مَن يحاولون الدس على هذا الدين، وقد عمل عثمان رضي الله عنه على كتابة المصحف الشريف وإرسال نسخ منه إلى الأمصار، وأمر ولاته بإحراق ما لدى الناس من مصاحف أخرى من قبيل المحافظة على أهم أصول الدين، وهو القرآن الكريم[2]، وقد بذل ولاة عثمان جهوداً كبيرة في محاربة السبئية الذين جاءوا بآراء غريبة على الإسلام، وضيّقوا عليهم وطاردوهم[3]. وعلى العموم فإن المحافظة على الدين واحترامه كان من أهم الواجبات الموكلة إلى الولاة[4].

د ـ تخطيط وبناء المساجد:

حينما وصل الرسول ﷺ إلى قباء قام ببناء أول المساجد في الإسلام، وبعد وصوله إلى المدينة بدأ ببناء مسجده فيها، وحينما كان الرسول ﷺ يبعث بالولاة إلى البلدان كان هؤلاء الولاة يقومون ببناء المساجد فيها، واستمر الخلفاء الراشدون بعد ذلك في بناء المساجد، في البلدان والأمصار التي فتحها المسلمون، وإن كان الولاة لم يقوموا بتأسيس جميع هذه المساجد فإن لهم دوراً في إنشاء المساجد الرئيسة في معظم البلدان التابعة لولاياتهم وخصوصاً الجوامع منها[5].

(1) الولاية على البلدان (2/ 67).
(2) تاريخ المدينة (3/ 996 ـ 999).
(3) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، سليمان العودة، ص(214).
(4) الولاية على البلدان (2/ 69).
(5) الولاية على البلدان (2/ 69).

هـ ـ تيسير أمور الحج:

كان الولاة على البلدان في صدر الإسلام مسؤولين عن تيسير أمور الحج في ولاياتهم، وتأمين سلامة الحجاج منها، فقد كان الولاة يعينون الأمراء على قوافل الحج، ويحددون لهم أوقات السفر، حيث لا يغادر الحجاج بلدانهم إلا بإذن الوالي، ولم يكتف بعض الأمراء بأمور الترتيب بل نجد منهم مَن عمل على تأمين المياه في الأماكن التي يسلكها الحجاج من ولايته، فهذا عبد الله بن عامر بن كريز أجرى المياه في طريق حجاج البصرة حينما كان عاملاً عليها لعثمان بن عفان، حيث أوجد المياه في الطريق من البصرة إلى مكة[1]، وقد أكد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجاج عمل من مهام الوالي على بلده. يقول الماوردي: أما تسيير الحجيج، فداخلة في أحكام إمارته لأنه من جملة المعونات التي تنسب إليه[2].

و ـ إقامة الحدود الشرعية:

إن إقامة الحدود على المخالفين لأوامر الله وسنة رسوله ﷺ واجب ديني ملقى على الولاة، وهو من أهم الأمور الموكلة إليهم، سواء منها الحدود المتعلقة بمَن يتعرض لمنافع المسلمين العامة، أو مَن يتعرض بالضرر لأقوام معينين[3]، وقد قام عثمان وولاته بإقامة الحدود الشرعية في عهده رضي الله عنه.

2 ـ تأمين الناس في بلادهم:

المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور، أهمها، إقامة الحدود على العصاة والفسّاق[4]، مما يحد من الجرائم التي تهدد حياة الناس وممتلكاتهم، وبالتالي تقل الحوادث الأمنية من القتل أو السرقة أو قطع الطريق وما إلى ذلك، بل الأمر أيضاً يشمل ما يلقيه الناس من أقوال ضد بعضهم البعض من قذف وغيره، فإن إقامة الحد فيها يمنع من الاعتداء

(1) الولاية على البلدان (1/ 192).

(2) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ص(33).

(3) السياسة الشرعية لابن تيمية، ص(66).

(4) الولاية على البلدان (2/ 71).

الأدبي على الناس في أعراضهم ومحارمهم، ولم يقتصر الأمر على تأمين الناس بعضهم من بعض، بل إن العمال وبأمر من الخلفاء يعملون على تأمين رعاياهم من الحشرات والهوام كالعقارب وغيرها، يقول البلاذري: كتب عامل نصيبين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو إليه: أن جماعة من المسلمين ممن معه أصيبوا بالعقارب، فكتب إليه يأمره أن يوظف على أهل كل حيز من المدينة عدة من العقارب مسماة في كل ليلة، ففعل وكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها[1].

3 ـ الجهاد في سبيل الله:

إن السمة العامة لعهد الخلفاء الراشدين: أن الولاة هم قادة الجهاد في تلك البلدان، كما أن الولاة في عهد عثمان رضي الله عنه كان لهم دور كبير في الفتوح، ومنهم عبد الله بن عامر بن كريز والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري الذين واصلوا الفتوح في المشرق، ومثل عبد الله بن سعد بن أبي السرح الذي واصل الفتوح في شمال أفريقية، ومعاوية بن أبي سفيان الذي واصل الفتوح في نواحي أرمينية وبلاد الروم.

وهكذا فإننا نرى أن الأمراء في عهد الخلفاء الراشدين كانوا مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدو، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، ولاشك أن الجهاد كان مصحوباً بعمليات معينة تخدم الشؤون العامة له، وقد تحدثت المصادر التاريخية عن أهم هذه الأعمال التي جرت من قبل الأمراء منها:

أ ـ إرسال المتطوعين من قبل الأمراء إلى الجهاد:

فقد كان ولاة اليمن والبحرين ومكة وعُمَان يبعثون بالمجاهدين خلال عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه[2].

ب ـ الدفاع عن الولاية ضد الأعداء:

كان ولاة الشام يدافعون الروم طيلة عهد الخلفاء الراشدين، وكذلك الحال عند ولاة العراق الذين دافعوا الفرس حتى تمكنوا من قتل آخر ملوكهم في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(1) فتوح البلدان، البلاذري، ص(183).
(2) الولاية على البلدان (2/ 72).

ج ـ تحصين البلاد:

كان عثمان رضي الله عنه يأمر بتحصين السواحل وشحنها، وإقطاع القطائع لمن ينزلها من المسلمين للمساعدة في شحنها بالرجال[1].

د ـ تتبع أخبار الأعداء:

فقد قام الولاة بتتبع أخبار الأعداء وتوجيه الضربات الموجعة إليهم. واستطاعوا أن يخترقوا صفوفهم ويزرعوا عيوناً تابعة لهم.

هـ ـ إمداد الأمصار بالخيل:

كانت الخيل ذات أهمية خاصة في الجهاد، وقد اهتم المسلمون بتربيتها منذ أيام الرسول ﷺ واعتنوا بها عناية خاصة، وقد وضع عمر سياسة عامة في الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلامية حسب حاجتها[2]، وسار عثمان رضي الله عنه على نفس السياسة العمرية في اهتمامه بالخيل، فقد كانت هذه الخيول مجهزة للدفاع الفوري عن الدولة الإسلامية.

و ـ تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد:

اهتم الخلفاء الراشدون بتربية الأولاد وتعليمهم ما يفيدهم في حياتهم الجهادية مستقبلاً.

ز ـ متابعة دواوين الجند:

سار عثمان رضي الله عنه على نهج السياسة العمرية في اهتمامه بدواوين الجند، وقد اهتم رضي الله عنه اهتماماً خاصًا بدواوين الأمصار لاعتقاده بأن أهل الأمصار أحوج للضبط، خصوصاً القريبة من الأعداء، وهي الأمصار التي تحتاج إلى الجنود باستمرار، وقد كان الولاة على البلدان مسؤولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الآخرين الذين يتولون مهمتها، ولكن باعتبار أن هؤلاء الولاة هم أمراء الحرب فقد كانت مسؤوليتهم عن الدواوين في بلدانهم كمسؤولية الخليفة باعتبارهم نواباً[3].

(1) الولاية على البلدان (2/ 73).
(2) الولاية على البلدان (2/ 74).
(3) الولاية على البلدان (2/ 75).

ح ـ تنفيذ المعاهدات:

إن الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين صاحبتها مراسلات مع الأعداء، ومعاهدات ومصالحات كثيرة بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة، وقد كان الأمراء على البلدان بصفتهم قادة الجند مسؤولين مباشرة عن عقد مثل هذه المصالحات وعن تنفيذها[1].

4 ـ بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس:

اتبع الخلفاء الراشدون منذ عصر أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه طريقة جديدة لتوزيع الأعطيات على المسلمين من موارد بيت المال المختلفة، وقد كانت في البداية غير محدودة بأوقات معينة، ولكن في عهد عمر رضي الله عنه تغيرت بعد وضعه للدواوين في الأمصار المختلفة، حيث بدأ توزيع الأعطيات يأخذ شكلاً دورياً منتظماً، سار عليه عثمان رضي الله عنه، ولم يكتف الخلفاء وولاتهم في العهد الراشدي بتأمين الطعام ومراقبة الأسواق فقط، بل إن السكن وتوزيعه كان من المهام الموكلة لأمراء البلدان، كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة[2].

5 ـ تعيين العمال والموظفين:

كان تعيين العمال والموظفين في الوظائف التابعة للولاية في كثير من الأحايين من مهام الوالي، حيث إن الولاية في الغالب تتكون من بلد رئيس إضافة إلى بلدان وأقاليم أخرى تابعة للولاية، وهي بحاجة إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعينون من قبلهم عمالاً وموظفين في تلك المناطق، وفي عصر عثمان رضي الله عنه أصبح هؤلاء العمال التابعون للولاة يحكمون مناطق كبيرة، نظراً لتوسع الولايات نتيجة الفتوح وانضمام أقاليم كبيرة بأكملها إلى ولايات كانت محددة في السابق كالبصرة والكوفة والشام وغيرها، وبالتالي فإن توزيع العمال وإدارتهم، وتنظيمهم كانت مهمة كبيرة من المهام التي يقوم بها ولاة البلدان.

6 ـ رعاية أهل الذمة:

كانت رعاية أهل الذمة واحترام عهودهم والقيام بحقوقهم الشرعية، ومطالبتهم بما

(1) الولاية على البلدان (2/ 77).
(2) الولاية على البلدان (2/ 79).

عليهم للمسلمين من واجبات، وتتبع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممن يظلمهم انطلاقاً من الأوامر الشرعية في هذا الجانب من واجبات الوالي[1].

7 ـ مشاورة أهل الرأي في ولايته:

سار الخلفاء على نهج الرسول ﷺ في مشاورة أهل الرأي من الصحابة حيث كانوا يعقدون مجالس لكبار الصحابة، يستشيرونهم في مختلف الأمور[2]، كما كانوا يأمرون ولاتهم باستشارة أهل الرأي في بلادهم، وكان الولاة يطبقون ذلك ويعقدون مجالس للناس لأخذ آرائهم[3].

8 ـ النظر في حاجة الولاية العمرانية:

اشتهر عن الخلفاء الراشدين وولاتهم عنايتهم بحاجة السكان في النواحي العمرانية والزراعية، وفي عهد عثمان رضي الله عنه قام عبد الله بن عامر واليه على البصرة بحفر الآبار والعيون ليس في ولاية البصرة فحسب، بل في أماكن أخرى عديدة[4].

9 ـ مراعاة الأحوال الاجتماعية لسكان الولاية:

كان الولاة من منطلق تعاليم الإسلام الشاملة يراعون هذا الجانب بكل ما فيه من تعليمات، إلا أن ولاة ذلك العصر، وبتوجيه من الخلفاء الراشدين قاموا ببعض الأعمال الاجتماعية التي يصعب أن يقوم بها مَن هم في مثل منصبهم، كما حرص الخلفاء على أن ينزلوا الناس على منازلهم، وأن يحترم الولاة أهل الشرف والسابقة في الإسلام، ومن ذلك أن عامل عثمان على الكوفة كتب إليه يشكو من غلبة الأعراب الروادف على أهل الشرف والبلاء والسابقة في الإسلام[5]، فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، وأحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً

(1) الولاية على البلدان (2/ 80).
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه (2/ 80).
(4) المصدر نفسه (2/ 81).
(5) المصدر نفسه (2/ 82)؛ تاريخ الطبري (5/ 280).

obeikandl.com

بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل[1].

10 ـ أوقات عمل الوالي:

اشتهر عن الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة أنه لم يكن لداره باب، وأنه كان يستقبل الناس في جميع الأوقات، وهذا يدل على تمتع الناس بحرية مراجعة الأمير من غير حرج متى أرادوا ذلك لحاجة[2]، فقد كان للوالي قسم تابع لبيته مفتوح للناس متى أرادوا المجيء إليه مفصول عن أهله وأولاده.

المبحث الثالث

حقيقة ولاة عثمان رضي الله عنه

يكثر المؤرخون من الحديث عن محاباة عثمان أقاربه وسيطرتهم على أزمة الحكم في عهده، حتى أثاروا عليه نقمة كثير من الناس، فثاروا ناقمين عليه إطلاقه يد ذوي قرباه في شؤون الدولة[3]، وأقارب عثمان الذين ولّاهم رضي الله عنه أولهم معاوية، والثاني عبد الله بن أبي السرح، والثالث الوليد بن عقبة، والرابع سعيد بن العاص، والخامس عبد الله بن عامر، هؤلاء خمسة ولّاهم عثمان وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مطعن عليه، فلنظر أولاً مَن هم ولاة عثمان رضي الله عنه، هم: أبو موسى الأشعري، القعقاع بن عمرو، جابر المزني، حبيب بن مسلمة، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، أبو الأعور السلميّ، حكيم بن سلامة، الأشعث بن قيس، جرير بن عبد الله البجلي، عيينة بن النهاس، مالك بن حبيب، النُّسير العجلي، السائب بن الأقرع، سعيد بن قيس، سلمان بن ربيعة، خنيس بن حبيش، الأحنف بن قيس، وعبد الرحمن بن ربيعة، ويعلى بن مُنْيَة[4]، وعبد الله بن عمرو الحضرمي، وعلي بن ربيعة بن عبد العزى، هؤلاء هم ولاة عثمان رضي الله عنه.

فلو أخذنا إحصائية لوجدنا أن عدد الولاة ستة وعشرون والياً، ألا يصح أن يكون

(1) الولاية على البلدان (2/ 82).

(2) المصدر نفسه.

(3) الدولة الأموية المفترى عليها، ص(159).

(4) وهو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي، سير أعلام النبلاء، (3/ 100).

خمسة من بني أمية يستحقون الولاية وبخاصة إذا علمنا أن النبي ﷺ كان يولي بني أمية أكثر من غيرهم؟ ثم يقال بعد ذلك إن هؤلاء الولاة لم يكونوا كلهم في وقت واحد، بل كان عثمان رضي الله عنه قد ولّى الوليد بن عقبة ثم عزله، فولّى مكانه سعيد بن العاص، فلم يكونوا خمسة في وقت واحد، وأيضاً لم يُتوف عثمان إلا وقد عزل أيضاً سعيد بن العاص، فعندما تُوفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم: معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط، عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترض بوالٍ أبداً، إذاً عزل عثمان رضي الله عنه لأولئك الولاة لا يعتبر مطعناً فيهم بل مطعن في المدينة التي وُلُّوا عليها[1].

إن بني أمية كان رسول الله ﷺ يستعملهم في حياته، واستعملهم بعده مَنْ لا يُتَّهم بقرابة فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا نعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله ﷺ أكثر من بني عبد شمس لأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد، فاستعمل النبي ﷺ عتّاب بن أُسيد بن أبي العاص على مكة، وأبا سفيان بن حرب على نجران، وخالد بن سعيد على صدقات بني مذحج، وأبان بن سعيد على بعض السرايا ثم على البحرين، فعثمان رضي الله عنه لم يستعمل إلا مَن استعمله النبي ﷺ، ومن جنسهم وقبيلتهم، وكذلك أبو بكر وعمر بعده، فقد ولّى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشام، وأقره عمر ثم ولّى عمر بعده أخاه معاوية[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه أأثبت هؤلاء كفاءتهم أم لا؟ وستأتي شهادات أهل العلم في أولئك الولاة الذين ولاّهم عثمان رضي الله عنه بإذن الله تعالى.

إن عثمان خليفة راشد يقتدى به، وأفعاله تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سنّ لمن بعده التحرج عن تقريب الأقربين، فإن عثمان سنّ لمن بعده تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة، ومَن تتبع سيرة عثمان لا يشك في كفاءتهم الإدارية، وكل ما أنكر على عثمان لا يخرج عن دائرة المباح[3].

(1) حقبة من التاريخ، ص(75).
(2) منهاج السنّة (3/ 175، 176).
(3) الأساس في السنّة وفقهها، سعيد حوى، (4/ 1675).

إن الولاة الذين ولاّهم عثمان رضي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم مَن تقلّد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصدِّيق والفاروق رضي الله عنهما[1]، ولننظر إلى أقوال أهل العلم في أولئك الولاة:

أولاً: معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي:

ذكر المترجمون لهذا الصحابي الكريم فضائل جمة، وإليك شيئاً منها:

1 ـ من القرآن الكريم:

اشترك معاوية رضي الله عنه في غزوة حنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: 26].

فمعاوية رضي الله عنه من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ[2].

2 ـ من السنة:

دعاء الرسول ﷺ لمعاوية رضي الله عنه، ومن ذلك قوله ﷺ: **«اللهم اجعله هادياً[3]، مهدياً[4]، واهد به»**[5]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»**[6]، وقال رسول الله ﷺ: **«أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا»**[7]، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: **«أنت فيهم»**. ثم قال النبي ﷺ: **«أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر[8] مغفور لهم»**. فقلت: ـ أي أم حرام ـ: أنا فيهم

(1) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (1/ 417).
(2) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص(23).
(3) هادياً: للناس، أو دالاً على الخير.
(4) مهدياً: أي مهتدياً في نفسه.
(5) صحيح سنن الترمذي للألباني (3/ 236).
(6) موارد الظمآن (7/ 249) إسناده حسن.
(7) أوجبوا: أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنة. فتح الباري (6/ 121).
(8) مدينة قيصر: يعني القسطنطينية.

يا رسول الله؟ قال: «لا»[1]. قال المهلب[2]: في هذا الحديث منقبة لمعاوية لأنه أول من غزا البحر[3].

3 ـ ثناء أهل العلم على معاوية رضي الله عنه:

أ ـ ثناء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

قيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، قال: إنه فقيه[4]. ومما يناسب المقام ذكر بعض المسائل الفقهية التي أثرت عن معاوية رضي الله عنه، ومن تلك المسائل ما يلي:

ـ أثر عنه رضي الله عنه أنه أوتر بركعة.

ـ أثر عنه رضي الله عنه الاستسقاء بمن ظهر صلاحه[5].

ـ أنه يجزئ إخراج نصف صاع من البر في زكاة الفطر[6].

ـ استحباب تطييب البدن لمن أراد الإحرام[7].

ـ جواز بيع وشراء دور مكة[8].

ـ التفريق بين الزوجين بسبب العُنَّة[9][10].

ـ وقوع طلاق السكران.

ـ عدم قتل المسلم بالكافر قصاصاً.

---

(1) البخاري رقم (2924).

(2) المهلب بن أحمد الأندلسي، مصنف شرح صحيح البخاري توفي 435هـ.

(3) فتح الباري (6/ 120).

(4) فتح الباري (7/ 130).

(5) المغني لابن قدامة (3/ 346).

(6) زاد المعاد (2/ 19).

(7) المغنى (5/ 77).

(8) المصدر نفسه (6/ 366).

(9) العُنَّةُ: هي عجز الرجل عن إتيان زوجته، القاموس المحيط، (1570).

(10) مرويات خلافة معاوية، في تاريخ الطبري، خالد الغيث، ص(28).

ـ حبس القاتل حتى يبلغ ابن القتيل[1].

ب ـ ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية رضي الله عنه:

قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً، اتهمناه على القوم، يعني الصحابة[2].

ج ـ ثناء أحمد بن حنبل:

سئل الإمام أحمد رحمه الله: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين فإنه أخذها بالسيف غصباً[3]، قال أبو عبد الله: هذا قول سوء رديء، تجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسون، ونبيّن أمرهم للناس[4].

د ـ ثناء القاضي ابن العربي على معاوية رضي الله عنه:

تحدث ابن العربي عن الخصال التي اجتمعت في معاوية رضي الله عنه فذكر منها: . . . قيامه بحماية البيضة، وسد الثغور، وإصلاح الجند، والظهور على العدو، وسياسة الخلق[5]. وقد علق محب الدين الخطيب على هذا النص بقوله: وقد بلغ من همته ـ يعني معاوية ـ وعظيم عنايته بذلك أن أرسل يهدد ملك الروم وهو في معمعة القتال مع علي في صفين، وقد بلغه أن ملك الروم اقترب من الحدود في جنود عظيمة[6]، وفي ذلك يقول ابن كثير: وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته، وترجع إلى بلادك يا لعين! لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضّيقن عليك

(1) المصدر نفسه، ص(29).
(2) مرويات خلافة معاوية، ص(29).
(3) مرويات خلافة معاوية، ص(29).
(4) السنّة للخلّال، تحقيق عطية الزهراني (2/ 434).
(5) العواصم من القواصم، ص(210، 211).
(6) مرويات خلافة معاوية، ص(31).

الأرض بما رحبت! فعند ذلك خاف ملك الروم، وبعث يطلب الهدنة[1].

هـ ـ ثناء ابن تيمية على معاوية رضي الله عنه:

قال عنه ابن تيمية: . . . فإن معاوية ثبت عنه بالتواتر أنه أَمَّرهُ النبي ﷺ، كما أَمَّر غيره، وجاهد معه، وكان أميناً عنده يكتب له الوحي، وما اتهمه النبي ﷺ في كتابة الوحي، وولاّه عمر بن الخطاب، الذي كان من أخبر الناس بالرجال، وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه، ولم يتهمه في ولايته[2].

و ـ ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين. . . فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم تَرِد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو. وقال أيضاً: كان حليماً[3]، وقوراً، رئيساً، سيداً في الناس، كريماً، عادلاً شهماً[4]، وقال عنه أيضاً: كان جيد السيرة، حسن التجاوز، جميل العفو، كثير الستر، رحمه الله تعالى[5].

4 ـ روايته للحديث:

يعد معاوية رضي الله عنه من الذين نالوا شرف الرواية عن رسول الله ﷺ، ومرد ذلك إلى ملازمته لرسول الله ﷺ بعد فتح مكة، لكونه صهره وكاتبه ﷺ، هذا وقد روى معاوية رضي الله عنه مائة وثلاثة وستين حديثاً عن رسول الله ﷺ، اتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة[6]. وكانت سيرة معاوية رضي الله عنه مع الرعية في ولايته من خير سير الولاة مما جعل الناس يحبّونه، وقد ثبت في الصحيح عن

(1) البداية والنهاية (8/ 119).
(2) الفتاوى (4/ 472)؛ البداية والنهاية (8/ 122)، سير أعلام النبلاء (3/ 129).
(3) أفرد ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية.
(4) البداية والنهاية (8/ 118).
(5) المصدر نفسه (8/ 126).
(6) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، ص(33).

obeikandl.com

النبي ﷺ قال: «**خيار أئمتكم ـ حكامكم ـ الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلُّون عليهم ـ تدعون لهم ـ ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**»[1].

وأختم حديثي عن معاوية رضي الله عنه بما قاله القاضي أبو بكر ابن العربي: فعُمر ولاه وجمع له الشامات كلها، وأقرّه عثمان، بل إنما ولاّه أبو بكر الصدِّيق، لأنه ولّى أخاه يزيد، واستخلفه يزيد، فأقره عمر، لتعلّقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقرّه، فانظر إلى هذه السلسلة ما أوثق عُراها[2]. وثبت أن رسول الله ﷺ استكتبه... فيكون سند ولايته الأعمال في الدولة الإسلامية، لم يكن لأحد قبله، ولم يكن لأحد بعده حيث اجتمع على توليته، رسول الله ﷺ، ومن بعده خلفاؤه الثلاثة ثم صالحه، وأقرّ له بالخلافة الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ[3].

ثانياً: عبد الله بن عامر بن كريز:

هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي[4].

ولد في عهد رسول الله ﷺ وذلك في السنة الرابعة للهجرة[5]، وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ في السنة السابعة للهجرة، عُمرة القضاء، ودخل مكة حُملَ إليه عبد الله بن عامر، قال ابن حجر:... فتلمظ وتثاءب، فتفل رسول الله في فيه، وقال: «**هذا ابن السُّلمية**» قالوا: نعم، فقال: «**هذا أشبهنا**»، وجعل يتفل في فيه، ويعوِّذه فجعل يبتلع ريق النبي ﷺ، فقال: «**إنه لمسقيّ**»، فكان لا يعالج أرضاً إلّا ظهر له الماء[6].

لم يتولّ عبد الله بن عامر منصباً إدارياً أو عسكرياً إلى أن أصبح والياً على البصرة سنة 29هـ ـ 649م، وهو ابن خال الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأن أم عثمان، هي

(1) مسلم، كتاب الإمارة رقم (65).
(2) العواصم من القواصم، ص(82).
(3) المدينة المنورة، فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 216).
(4) البداية والنهاية (8/ 91).
(5) تهذيب التهذيب (5/ 272).
(6) سير أعلام النبلاء (3/ 19)، تهذيب التهذيب (5/ 273)، أسد الغابة (3/ 293) رقم (3031).

أروى بنت كريز بن ربيعة، وكانت أم عبد الله بن عامر من بني سُليم[1].

ولما عين لولاية البصرة، كان عمره أربعاً أو خمساً وعشرين[2]، وظل والياً على البصرة حتى مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه عندما تجهز بجيش كبير، وحمل ما عنده من الأموال، فسار إلى مكة حيث وافى الزبير، ورجع منها إلى البصرة فشهد موقعة الجمل، ولم يحضر موقعة صفين. على الرغم من أن القلقشندي ذكر أنه كان في التحكيم مع معاوية بصفين[3]، وفي خلافة معاوية تولى إمارة البصرة لمدة ثلاث سنوات ثم عزله عنها، فأقام بالمدينة، ومات بها سنة سبع وخمسين للهجرة[4]، وفي رواية ابن قتيبة: أنه توفي بمكة ودفن بعرفات عام تسع وخمسين[5]. وأشاد ابن سعد به قائلاً: كان عبد الله شريفاً، سخياً كريماً كثير المال، والولد، محباً للعمران[6]، وقال عنه ابن حجر: كان جَوَاداً كريماً ميموناً. جريئاً شجاعاً[7]، وكان يعتبر من أجود أهل البصرة[8]. ومن أجود أهل الإسلام[9].

وكان لعبد الله بن عامر، أثر حميد في الفتوحات، فقد تمكن من القضاء على آمال الفرس بشكل تام، عندما قضى على آخر رمق من الأمل الفارسي القديم، وذلك بقضائه على آخر ملوكهم يزدجر بن شهريار بن كسرى، وخرزاد مهر أخي رستم اللَّذين تزعما المعارضة الفارسية ضد المسلمين.

وإضافة إلى براعة عبد الله بن عامر في الشؤون الإدارية والعسكرية، فإنه كان مهتماً بالمعارف الإسلامية، ويروى أنه روى حديثاً عن النبي ﷺ، وقال ابن قتيبة: لم يرو عن

(1) الطبقات (5/ 31)؛ تهذيب التهذيب (5/ 272).
(2) البداية والنهاية (8/ 91).
(3) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص(128).
(4) سير أعلام النبلاء (3/ 21).
(5) المعارف لابن قتيبة، ص(321).
(6) مجلة المؤرخ العربي، رقم 21، ص(129).
(7) تهذيب التهذيب (5/ 272).
(8) العقد الفريد (1/ 293، 294).
(9) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس القلقشندي (1/ 450، 451).

رسول الله إلاّ حديثاً واحداً[1]، غير أنه لم يكن له رواية في الكتب الستة[2]، أما الحديث النبوي الذي رواه، فقد أورده ابن قانع، وابن منده عن طريق مصعب الزبيري: حدثني أبي عن جدي مصعب بن ثابت، عن حنظلة بن قيس، عن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «مَن قُتل دون ماله فهو شهيد»[3].

إصلاحاته الاقتصادية في البصرة:

يقترن باسم عبد الله بن عامر عدد من الإصلاحات في البصرة، لا تقل أهمية عن إنجازاته العسكرية الفذَّة المتمثلة في انتصاراته العديدة على المجوس، وتتبعه لفلولهم المنهزمة وقضائه على آمال يزدجر، فقد كانت إصلاحاته الاقتصادية ممثلة في عنايته بسوق البصرة، فقد اشترى هذا السوق من ماله ووهبه لأهلها[4]، وكان السوق يتوسط البصرة، بدليل ما ذكره خليفة بن خياط، من أن السوق قائم على ضفاف النهر الذي يتوسط البصرة، وهذا اختيار جيد، لأنه يجعل السوق مركزاً مهماً في وسط المدينة، ولعل من أبرز أعماله الإصلاحية في البصرة في ميدان الري، وقد اهتم ابن عامر بهذه المسألة اهتماماً كبيراً، وذكر ابن قتيبة أن ابن عامر احتفر بالبصرة نهرين أحدهما في الشرق، والآخر يعرف بأم عبد الله وهو منسوب إلى أم عبد الله بن عامر[5]، وأمر عبد الله بن عامر، زياد بن أبي سفيان بحفر الأبلَّة، وكان زياد والياً على الديوان وبيت المال، من قبل عبد الله بن عامر، وكان يستخلفه في مكانه عند توجهه للفتوح[6]، وذكر خليفة بن خياط أن زياد احتفر نهر الأبلة حتى انتهى إلى موضع الجبل، والذي تولى حفره لزياد عبد الرحمن بن أبي بكرة[7]، فلما فتح عبد الرحمن الماء جعل يركض فرسه والماء يكاد

(1) المعارف، ص(321).

(2) المصدر نفسه.

(3) الحاكم في المستدرك (3/ 639) إسناده ضعيف وله ما يقويه في الباب.

(4) الطبقات الكبرى (5/ 73)؛ مجلة المؤرخ العربي هي العمدة في ترجمتي لعبد الله بن عامر، حيث استفدت من الأستاذ محمد حمادي جزاه الله خيراً.

(5) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، محمد حمادي، ص(134).

(6) فتوح البلدان للبلاذري، ص(351).

(7) تاريخ خليفة بن خياط (1/ 142).

يسبقه[1]، وحفر عبد الله بن عامر حوضاً نسب إلى أمه، وهو حوض أم عبد الله بن عامر بالبصرة منسوب إليها[2]، وذكر البلاذري أن عبد الله بن عامر حفر نهراً، تولى أمر حفره له نافذ مولاه، فغلب عليه فقيل نهر نافذ[3]، وهناك نهر مُرَّة لابن عامر، تولى حفره له مرة مولى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فغلب على ذكره[4]، وهناك نهر الأساورة الذي حفره لهم عبد الله بن عامر.

ويذكر البلاذري قنطرة قرة بالبصرة فيقول: قنطرة قرة نسبة إلى قرة بن حيان الباهلي، وكان عندها نهر قديم ثم اشترته أم عبد الله بن عامر[5]، فتصدقت به مغيثاً لأهل البصرة[6].

مما تقدم، يتبين لنا أن عبد الله بن عامر كان مهتماً بحفر الأنهار من أجل ازدهار الزراعة، التي هي عماد الحياة الاقتصادية، إضافة إلى موقع البصرة الإستراتيجي بالنسبة إلى طرق التجارة، وأهميتها العسكرية كقاعدة للفتوحات الإسلامية في المشرق، ويمكن أن نلاحظ مدى رغبة عبد الله بن عامر في الإصلاح من خلال قوله: لو تُركت لخرجت المرأة في حاجتها على دابتها، ترد كل يوم على ماء وسوق، حتى توافي مكة[7].

وفي الحقيقة أن إصلاحاته هذه لا تقل أهمية عن الفتوحات في المشرق التي قام بها، فقد كانت البصرة هي القاعدة العسكرية للخلافة في فتوحاتها ببلاد المشرق، وأشار الدكتور صالح العلي إلى أن الفتوح الواسعة أدت إلى ازدياد دخل البصرة وانتشار الرخاء الاقتصادي فيها، مما شجع التجار ورجال الأعمال على التقاطر إليها، وبذلك بدأت الحياة المدنية تنمو سريعاً في البصرة[8]، لقد كانت الحالة المالية لإمارة البصرة جيدة جداً، نتيجة للفتوح الواسعة في المشرق، والنشاط الاقتصادي التجاري للبصرة،

(1) فتوح البلدان، ص(351).
(2) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، عبد الله بن عامر، ص(134).
(3) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص(135)؛ فتوح البلدان، ص(354).
(4) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص(136)؛ فتوح البلدان، ص(354).
(5) مجلة المؤرخ العربي رقم 21، ص(136).
(6) فتوح البلدان، ص(353، 354).
(7) المعارف لابن قتيبة، ص(321).
(8) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص(30 ـ 31).

واستقرار الأمن فيها، وكان عبد الله بن عامر رجلاً متواضعاً، فاتحاً بابه لجميع الناس حتى وإنه عاقب الحاجب وأمره ألا يغلق بابه ليلاً ولا نهاراً[1]، وفي الحقيقة أصبح ابن عامر ذا شهرة واسعة بالبصرة، قال ابن سعد: كان الناس يقولون: قال ابن عامر، وفعل ابن عامر[2]، ونتيجة لأعماله الإصلاحية وسيرته الحميدة، فقد ازداد حب الأمة له[3].

وظل ابن عامر عليها إلى أن قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه[4].

فهذا عبد الله بن عامر أحد ولاة عثمان، فهو الذي شقّ نهر البصرة، وأول مَن اتخذ الحياض بعرفات وأجرى إليها العين[5]، وهو الرجل الذي له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا يُنكر، كما يقول ابن تيمية[6]، وقال فيه الذهبي: وكان من كبار أمراء العرب وشجعانهم وأجوادهم، وكان فيه رفق وحلم[7].

ثالثاً: الوليد بن عقبة:

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير أبو وهب الأموي، له صحبة قليلة[8]، وهو أخو عثمان لأمه.

كان الوليد بن عقبة من رجال الدولة الإسلامية على عهد أبي بكر وعمر اللَّذين كانا يتخيران للأعمال ذوي الكفاءة والأمانة من الرجال، وكان ذلك من أعظم أسباب ذلك الانتشار السريع على أوسع نطاق للإسلام على عهدهما، وأنه كان محل ثقة واعتماد الخليفتين، وممن وسد إليه الأمور الهامة لما كانا يريان فيه من الكفاءة، وصدق الإيمان[9]، وأول عمل له في خلافة الصدِّيق أنه كان موضع السرِّ في الرسائل الحربية

(1) مجلة المؤرخ العربي العدد (21)، عبد الله بن عامر، محمد حمادي، ص(138).
(2) الطبقات (5/ 33).
(3) مجلة المؤرخ العربي، عبد الله بن عامر، محمد حمادي، ص(138).
(4) البداية والنهاية (8/ 91).
(5) المصدر نفسه.
(6) منهاج السنّة (3/ 189، 190).
(7) سير أعلام النبلاء (3/ 21).
(8) سير أعلام النبلاء (3/ 412، 413).
(9) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، محمد صالح الغرسي، ص(78).

التي دارت بين الخليفة وقائده خالد بن الوليد في وقعة المزار مع الفرس[1] 12هـ، ثم وجهه مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهري[2]، وفي سنة 13هـ كان الوليد يلي لأبي بكر صدقات قضاعة، ثم لما عزم الصدِّيق على فتح الشام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة والثقة والكرامة، فكتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة فيالق الجهاد، فسار ابن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الأردن[3]، ثم رأينا الوليد في سنة 15هـ على عهد عمر أميراً على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة[4].

وكان في ولايته هذه يحمي ظهور المجاهدين في بلاد الشام، لئلا يؤتوا من خلفهم، وانتهز الوليد فرصة ولايته على هذه الجهة التي كانت لا تزال مليئة بالنصارى، فكانت من جهاده الحربي وعمله الإداري داعياً إلى الله، يستعمل أساليب الحكمة والموعظة الحسنة لحمل نصارى إياد وتغلب على الدخول في الإسلام[5].

وبهذا الماضي المجيد جاء الوليد في خلافة عثمان، فتولى الكوفة له وكان من خير ولاتها عدلاً ورفقاً وإحساناً، وكانت جيوشه مدة ولايته على الكوفة تسير في آفاق الشرق فاتحة ظافرة موفقة، كما شهد له بذلك بظهر الغيب قاضي من أعظم قضاة الإسلام في التاريخ علماً وفضلاً وإنصافاً، وهو التابعي الجليل الإمام الشعبي[6]، فقد أثنى على غزوه وإمارته بقوله حين ذكر له غزو مسلمة بن عبد الملك[7]: كيف لو أدركتم الوليد وغزوه وإمارته، إنه كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا، ما نقض ولا انتقض عليه أحد حتى عُزل عن عمله[8].

وقد كان الوليد رضي الله عنه أحب الناس إلى الناس وأرفقهم بهم، وقد أمضى خمس سنين

(1) تاريخ الطبري (4/ 168).
(2) المصدر نفسه (4/ 194).
(3) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص(78).
(4) تاريخ الطبري (5/ 28، 29).
(5) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص(78).
(6) المصدر نفسه.
(7) مسلمة بن عبد الملك بن مروان أحد القادة الفاتحين توفي 120هـ.
(8) التمهيد والبيان، ص(40).

وليس في داره باب[1]، وقد قال عثمان رضي الله عنه: ما وليت الوليد لأنه أخي وإنما وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمة رسول الله ﷺ وتوأمة أبيه، والولاية اجتهاد، وقد عزل عمر سعد بن أبي وقاص وقدَّم أقل منه درجة[2].

والمستعرض لسيرة هذا الصحابي الجليل والبطل الإسلامي العظيم، الذي كان محل ثقة الخلفاء الراشدين الثلاثة لا يرتاب، فإنه أهل للولاية، وإنما تساوره الشكوك في ثبوت ما قيل فيه من نزول الآية فيه وتسميته فاسقاً، وشربه للخمر، والأمر يحتاج إلى تحقيق، وإليك بحث هذين الأمرين[3].

هل ثبت بأن الوليد نزلت فيه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الحُجرَات: 6] ؟

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجرَات: 6] .

يتناقل الرواة في ذلك قصة تقول: إن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق مصدّقاً، فأخبر عنهم أنهم ارتدّوا، وأبوا في أداء الصدقة، وذلك أنهم خرجوا إليه، فهابهم ولم يعرف ما عندهم، فانصرف عنهم، وأخبر بارتدادهم، فبعث إليهم رسول الله ﷺ، خالد بن الوليد وأمره أن يتثبّت فيهم، فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام، ونزلت الآية[4]. وقد جاءت روايات عديدة، وليس للقصة سند موصول صحيح[5]، وأقلّ ما يوصف به سند القصة أنّه ضعيف، وإذا قبلوا الأسانيد الضعيفة في فضائل الأعمال التي لا تحلُّ حراماً، ولا تحرم حلالاً، فإننا لا نقبل السند الضعيف في قصة الوليد، لأنه يحلُّ حراماً، وهو وصف رجل صحب الرسول ﷺ ـ ولو يوماً ـ بأنه فاسق.. وكيف نقبل السند الضعيف والآية نفسها تحث على التثبّت في قبول الأخبار، فهذه الآية وضعت أصل علم الرواية...[6].

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 251).
(2) العواصم من القواصم، ص(86).
(3) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص(79).
(4) المدينة النبوية فجر الإسلام (2/ 176).
(5) المصدر نفسه.
(6) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 182).

إن قصة الوليد بن عقبة، فيما نسبوه إليه، لا تُقْبلُ فيها إلا الأخبار الصحيحة السند والمتن، لأنها تصفه بالفسق، وهذا مطعن لا يتساهل في قبوله إذا وُصف به رجل من عرض الناس في العصر الحديث بعد خمسة عشر قرناً من عصر الدعوة، فكيف نتساهل في نسبتها إلى رجل عاش في العهد النبوي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وأوكلوا إليه أعمالاً ذات خطر؟

والقصة تمثل جزءاً من تاريخ صدر الإسلام، وتتصل أجزاء القصة وحوادثها بالعقيدة الإسلامية، وأخبار هذا الجانب من التاريخ الإسلامي، لا يتساهل في قبولها، كما يُتساهل في قبول الأخبار التي تتصل بالعمران المدني، ثم إنّ الوليد بن عقبة: من مسلمة الفتح... وكثيراً ما تُوجّه المطاعن إلى إسلام هذه الفئة من الناس، ويزعم بعض المؤرخين أنهم أسلموا مكرهين، ولم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهو زعم باطل بلا ريب[1]، وأخبار الوليد بن عقبة، تزيّد الرواة فيها، ولعبت بها الأهواء المذهبية والسياسية، ودخلها الوضع، وكانت ميداناً لتسابق أهل القصة في اختبار القدرة على الوضع، وإثبات عبقريتهم الأدبية المُجنحة[2].

ومما يعكّر على رواية إرسال الوليد بن عقبة، لجمع صدقات بني المصطلق، ويعارضها حديثٌ موصولُ السند إلى رجال ثقات أن الوليد بن عقبة كان يوم الفتح صغيراً، ومن كان في سنه لا يرسله النبي ﷺ عاملاً، فعن فياض بن محمد الرقّى، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج الكلابي، عن عبد الله الهمداني (أبي موسى) عن الوليد بن عقبة قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم، فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم فجيء بي إليه، وإني مطيَّب بالخلوق، ولم يمسح على رأسي، ولم يمنعه من ذلك إلا أن أمي خلّقتني بالخلوق، فلم يمسني من أجل الخلوق[3].

إن القصة لعبت بها الأهواء المذهبية، فالوليد أموي عثماني، والذي أقحم اسم الوليد في قصة سبب نزول الآية: هو (محمد بن السائب الكلبي) قال عنه ابن حجر: كان يُعَدُّ من شيعة أهل الكوفة، وقال ابن حجر: كان بالكوفة كذّابان، أحدهما:

(1) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 173).
(2) المصدر نفسه.
(3) مسند أحمد (4/ 32).

الكلبي، والآخر: السدي[1]. واختاره لهذه القصة، لأنها تتصل بجمع الصدقات، والوليد عمل على صدقات قضاعة في عهد أبي بكر، وعمل على صدقات تغلب في الجزيرة في زمن عمر، وكُتب الشّيعة تعيب عثمان بن عفان بسبب قصة الوليد[2]، ونحن لا ننكر أن تكون الآية نزلت في سياق قصة بني المصطلق، ولكن الذي ننكره، أن يكون الوليد هو الموصوف بالفاسق في الآية، ذلك أن منطوق ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الحُجرَات: 6] بصيغة التنكير، يدلُّ على الشمول لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط، عمّت كما تعمُّ إذا وقعت في سياق النفي[3].

حد الوليد بن عقبة في الخمر:

وأما حد الوليد في الخمر فقد ثبت في الصحيحين، أن عثمان حدّه بعد ما شهدت عليه الشهود، فهو ليس مأخذاً على عثمان، بل كان من مناقب عثمان رضي الله عنه أن أقام عليه الحد وعزله عن الكوفة حيث ذكر البخاري هذه الحادثة في (باب مناقب عثمان)[4]، وكان عليّ رضي الله عنه يقول: إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل رِدَءَهُ[5]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[6]. ثم إن تلك الحادثة لم تطرأ في عهد عثمان فحسب، بل لها سابقة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث ذكر أن قدامة بن مظعون ـ له صحبة ـ شرب الخمر، وهو أمير على البحرين من قبل عمر فحدّه وعزله[7].

وقد ذكر بعض المؤرخين أنه لم يثبت على الوليد شربه للخمر، قال الحافظ في الإصابة: ويقال إن بعض أهل الكوفة تعصبوا عليه فشهدوا عليه بغير الحق[8]، وقد أشار إلى هذا ابن خلدون فقال: وما زالت الشائعات ـ أي على عمال عثمان من قبل

(1) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 179).
(2) المصدر نفسه (2/ 180).
(3) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 180).
(4) البخاري، كتاب مناقب عثمان.
(5) الرِّدء: هو العون؛ تاريخ الطبري (5/ 278).
(6) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 421).
(7) العواصم من القواصم، ص(93).
(8) الإصابة (3/ 638).

المشاغبين ـ تنمو، ورمي الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم، وحدّه عثمان وعزله[1].

وما حكاه الطبري ببعض تفصيل: إن أبناءً لأبي زينب وأبي مورع وجندب بن زهير نقبوا على ابن الحيـمان داره، وقتلوه، فشهد عليهم بذلك أبو شريح الخزاعي الصحابي وابنه ـ وكان جاراً لابن الحيـمان ـ فاقتص منهم الوليد، فأخذ الآباء على أنفسهم أن يكيدوا للوليد، وأخذوا يترقبون حركاته فنزل به أبو زبيد الشاعر، وكان نصرانياً من أخواله بني تغلب وأسلم على يد الوليد وكان الضيف متهماً بشرب الخمر، فأخذ بعض السفهاء يتحدثون بذلك في الوليد لملازمته أبا زبيد، ووجد أبو زينب وأبو مورع خير فرصة يغتنمونها، فسافرا إلى المدينة وتقدما إلى عثمان شاهدين على الوليد بشرب الخمر، وأنهما وجداه يقيء الخمر، فقال عثمان: ما يقيء الخمر إلا شاربها. فجيء بالوليد من الكوفة فحلف لعثمان وأخبره خبرهم فقال عثمان: نقيم حدود الله ويبوء شاهد الزور بالنار فاصبر يا أخي[2].

قال محب الدين الخطيب: وأما الزيادة التي وردت في رواية مسلم من أنه أتى بالوليد وقد صلّى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم، وفي بعض طرق أحمد أنه صلّى أربعاً، فلم تثبت في شيء من شهادة الشهود، فهي من كلام حضين الراوي للقصة، ولم يكن حضين من الشهود ولم يروها عن شاهد ولا عن إنسان معروف، ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم، فلا اعتداد بهذا الجزء من كلامه[3].

هذا هو والي عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة، المجاهد الفاتح، العادل المظلوم الذي كان منه لأمته كل ما استطاعه من عمل طيب، ثم رأى بعينه كيف يبغي المبطلون على الصالحين، وينفذ باطلهم فيهم، فاعتزل الناس بعد مقتل عثمان في ضيعة له منقطعة عن صخب المجتمع، وهي تبعد خمسة عشر ميلاً عن بلدة الرقة من أرض الجزيرة التي كان يجاهد فيها ويدعو الناس للإسلام في خلافة عمر[4]، واعتزل جميع الحروب التي

(1) تاريخ ابن خلدون (2/ 473)؛ فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص(81).

(2) تاريخ الطبري (5/ 277).

(3) العواصم من القواصم، ص(96، 97).

(4) المصدر نفسه، ص(94).

كانت أيام عليّ ومعاوية رضي الله عنهما إلى أن توفي بضيعته، ودفن بها في عام 61هـ، وقيل إنه توفي في أيام معاوية[1].

رابعاً: سعيد بن العاص:

هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي، الأموي[2]. وقال أبو حاتم: له صحبة، وَلّي الكوفة بعد الوليد بن عقبة: كان من فصحاء قريش، ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن، فعن أنس بن مالك قال: . . . فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها (أي الصحف) في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش[3]، وقد أقيمت عربية القرآن على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ، أدرك من الحياة النبوية تسع سنين، وقتل أبوه يوم بدر مشركاً، قتله علي بن أبي طالب[4]، وأقرأ معي هذا الخبر الذي يدلُّ على قوة إيمانه: حيث روي أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص: لم أقتل أباك، وإنما قتلتُ خالي العاص بن هشام، فقال سعيد: لو قتلته لكنت على الحق، وكان على الباطل، فأعجب عمر بجوابه.

وفي أيام ولايته الكوفة غزا طبرستان ففتحها، وغزا جرجان، وكان في عسكره حذيفة وغيره من الصحابة[5]، وكان مشهوراً بالكرم والبر، حتى إذا سأله السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً[6]، وكان رحمه الله يحب جمع شمل المسلمين ويكره الفتنة، ويفر منها، ولاّه عثمان الكوفة، بعد الوليد بن عقبة، ووفد إلى المدينة مرة، وعندما عاد إلى الكوفة جنّد أهل الشغب جنودهم ومنعوه من دخولها، فعاد ولزم المدينة. . وهؤلاء الذين منعوه من العودة إلى الإمارة، كان منهم قتلة عثمان، ومع

(1) البداية والنهاية (8/ 216).
(2) البداية والنهاية (8/ 87).
(3) البخاري، كتاب فضائل القرآن رقم (4987).
(4) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 211).
(5) المصدر نفسه.
(6) الإصابة ترجمة (3268).

ذلك اعتزل الجمل وصفين، وحث أهل الجمل على القعود عن الخروج[1]، هذه هي سيرته: كرم وشجاعة، وبرٌّ، وجهاد وفصاحة أشبه ما تكون بفصاحة النبي ﷺ، وكان قد أملى على زيد بن ثابت هذا المصحف الذين نقرؤه اليوم. . .

فتأمل هذه المناقب الثابتة له بالرواية الصحيحة، وقارنها بما يذكرون من مثالبه التي لا سند لها، وتأمل فيمن أشاعها، فتظن أنها ملفقة لأنها تجمع في الرجل النقيضين: الكرم والبخل، والبرَّ والتوحش، والفهم والجهل، والجهاد والنكوص، وهذا لا يعقل اجتماعه في رجل سويّ[2]، يزعم الرواة ـ بلا إسناد ـ أنه عندما ولي سعيد الكوفة بعد الوليد كان بعض الموالي يقول: رجزاً

يا ويلنا قد عُزل الوليد
وجاءنا مجوّعاً سعيد
يُنقص في الصاع ولا يزيد[3]

وهذا رجز مصنوع، وقصة موضوعة بلاشك[4]، لأن الموالي في سنة 30هـ ـ أي: العبيد، من أسرى الحروب ـ لم يكونوا يحسنون العربية، بَلْه قول الشعر، ولأنّ سعيد بن العاص المشهور بالكرم والبرّ، لا يمكن أن يوصف بأنه (مجوّع) وإذا مدح الناس والشعراء الوليد لكرمه، فإنّ سعيداً ضرب المثل بكرمه[5]، فكان يقال له: عُكَّةُ العسل، وقال فيه الفرزدق يذكر كرمه:

ترى الغُرَّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيشٍ إذَا ما الأَمْرُ في الحِدثَانِ عَالا
قِياماً يَنْظُرُوْنَ إلى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلالا[6]

وإذا قال الموالي هذا الرجز في أول مجيء سعيد إلى الكوفة، كيف عرف الموالي سياسة سعيد، وهل جاء مجوّعاً أم جاء مشبعاً؟! والغريب أن الرواة يسوقون هذا الخبر

(1) الطبقات (5/ 34).
(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 212).
(3) تاريخ الطبري (5/ 279).
(4) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 212).
(5) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 212).
(6) البداية والنهاية (8/ 88).

في سياق ينقص بعضه بعضاً حيث يقولون: فولى عثمان سعيد بن العاص الكوفة، فسار فيهم سيرة عادلة، فكان بعض الموالي يقول الرجز[1]، فكيف تكون السيرة عادلة، ويوصف بأنه جوّع الموالي؟! فقد كان الخير كثيراً يسع الجميع، ويفيض، والسيرة العادلة تجعل الخير يعم[2]، ورحم الله المؤرخين القدماء، فقد كانوا حسني الظن بالقراء، فجمعوا في كتبهم الروايات المتناقضة، وحسبوا أن القراء في جميع العصور يستطيعون تمييز الغثّ من السمين، وعذرهم بأنهم كانوا يؤلفون لأهل عصرهم، وما عرفوا أنّ القرون التالية ستحلُّ بمن يحتطب بليل[3]، فقد روى ابن سعد في ترجمة سعيد ـ بلا إسناد ـ يقول: قالوا: فلما قدم سعيد الكوفة ـ والياً ـ قدمها شاباً مترفاً ليست له سابقة، فقال: لا أصعد المنبر حتى يطهّر، فأمر به فغسل... وقال على المنبر: إنما هذا السواد بستان لأُغيْلمة من قريش. فشكوه إلى عثمان[4] وهذا كلام لا يصحُّ، لأنه غير مسند، ولأن سعيد بن العاص الذي قاد جيوش الجهاد وفتح الفتوح لا يكون كما وصف القائلون...

ثم إن ابن سعد يروي قولة سعيد هذه على لسان الأشتر مالك بن الحارث عندما منع سعيد بن العاص من دخول الكوفة، بعد سنوات من ولايته حيث قال الأشتر: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم أن هذا السواد بستانٌ لأغيلمة من قريش، والسواد ساقط رؤوسكم ومراكز رماحكم، وفيئكم وفيء آبائكم[5].

ومالك بن الحارث الملقب (الأشتر) صاحب فتنة، كان من رؤساء الخوارج الذين حاصروا عثمان وقتلوه، ولا يستغرب من هؤلاء أن يختلقوا الأقوال لإثارة كره الناس.. وإذا كانت هذه الجملة قد قيلت، فإن الذين قالوها هم الخارجون على الخلافة، لأنهم فهموا هذا الفهم السقيم بسبب تتابع الأمراء على العراق، وبخاصة الكوفة، من قريش، ولأن العصبية القبلية واضحة في هذه المقولة[6]. وقد قال الإمام الذهبي فيه: وكان أميراً

(1) تاريخ الطبري (5/ 279).
(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 213).
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه (2/ 213)؛ الطبقات (5/ 32).
(5) المصدر نفسه (2/ 214).
(6) المصدر السابق نفسه.

شريفاً، جَوَاداً، ممدّحاً، حليماً، وقوراً، ذا حزم وعقل، يصلح للخلافة ـ الولاية ـ[1].

وأما قول المخالفين والذين طعنوا في عثمان رضي الله عنه بأنه استعمل سعيد بن العاص على الكوفة وظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة[2]، فمجرد إخراج أهل الكوفة له لا يدل على ذنب يوجب ذلك، فمن عرف الكوفة وسبر أحوالها، عرف كثرة تشكّي أهلها من ولاتهم بلا مبرر شرعي ولأتفه الأسباب، حتى قال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أعياني وأعضل بي أهل الكوفة ما يرضون أحداً ولا يرضى بهم، ولا يصلحون ولا يصلح عليهم[3].

وفي رواية: أعياني أهل الكوفة، فإن استعملت عليهم ليّناً استضعفوه، وإن استعملت عليهم شديداً شكوه[4]، بل إنه دعا عليهم فقال: اللهم إنهم قد لبّسوا عليّ فلبّس عليهم[5].

وقد كان سعيد بن العاص رجلاً حكيماً، فقد قال: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس أوسعت له، وإذا حدث أقبلت عليه. وقال لابنه: يا بني أجر لله المعروف إذا لم يكن ابتداء من غير مسألة، فأما إذا أتاك الرجل تكاد ترى دمه في وجهه، أو جاءك مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه، فوالله لو خرجت له من جميع مالك ما كافأته، وقال أيضاً: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فتهون عليه، ودخلت عليه ذات يوم امرأة من العابدات وهو أمير الكوفة، فأكرمها وأحسن إليها، فقالت: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا زالت المنة في أعناق الكرام، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردها عليه.

ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنيه وقال لهم: لا يفقدن أصحابي غير وجهي، وصلوهم بما كنت أصلهم به، وأجروا عليهم ما كنت أجري عليهم، واكفوهم مؤنة

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 447).
(2) تاريخ الطبري (5/ 279).
(3) المعرفة والتاريخ للفسوي (2/ 754).
(4) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 423).
(5) المنهاج لابن تيمية (3/ 188).

الطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه، وارتعدت فرائصه مخافة أن يرد، فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منة عليكم مما تعطونه، ثم أوصاهم بوصايا كثيرة، وكانت وفاته 58هـ وقيل 57هـ، وقيل 59هـ[1].

خامساً: عبد الله بن سعد بن أبي السرح:

درج المؤرخون ـ في الغالب ـ إذا ذكروا اسم عبد الله بن أبي السرح وتولية عثمان له على ولاية مصر على أن يقولوا: لقد ولّى عثمان على مصر عبد الله بن أبي السرح أخاه من الرضاعة[2]، وإيراد عبارة (أخاه من الرضاعة) مقرونة بالتولية تعتبر إيحاء من بعض المؤرخين باتهام عثمان رضي الله عنه، وأنه لهذه الأخوة من الرضاعة ولاّه على مصر. وهذا الذي يراه المؤرخ، غير صحيح، ولكي نرد على هؤلاء وعلى ما يغمزون به أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه نستعرض جهود فارس بني عامر بن لؤي[3]، ـ عبد الله بن سعد ـ فقد كان على خبرة ودراية تامة بأحوال مصر ونواحيها، نتيجة اشتراكه مع جيش عمرو في فتحها، ونتيجة ولايته على بعض النواحي أثناء خلافة عمر، فقد كان على صعيد مصر[4]، وكذلك أول خلافة عثمان، مما أهّله لأن يصبح والياً عاماً على مصر، فكان أقوى المرشحين لتلك الولاية بعد عمرو بن العاص نتيجة لتلك الخبرات، ويبدو أن عبد الله بن سعد تمكن من ضبط خراج مصر، حتى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص قبله، ولعل مرد ذلك إلى اتباع عبد الله بن سعد لسياسة جديدة في المصروفات اختلفت عن سياسة عمرو، وبالتالي زادت أموال الخراج المتوفرة في مصر[5].

وقد قام عبد الله بن سعد أثناء ولايته بالجهاد في عدة مواقع، فكانت له فتوح مختلفة لها شأن عظيم، فكان من غزواته غزو إفريقية سنة 27هـ وفتوحه فيها، وقتله ملكها جرجير، وكان يصاحبه في تلك الغزوات مجموعة من الصحابة منهم: عبد الله بن الزبير

(1) البداية والنهاية (8/ 90).
(2) انظر: الكامل لابن الأثير (3/ 88).
(3) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص(77).
(4) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص(418).
(5) الولاية على البلدان (1/ 180).

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم، وانتهت الغزوة بصلح مع بطريق أفريقيا على تأدية الجزية للمسلمين[1]، وقد عاد ابن أبي السرح إلى أفريقيا مرة أخرى، ووطد فيها الإسلام وذلك في سنة 33هـ[2]، كما كان من أهم أعمال عبد الله بن سعد بن أبي السرح غزوه لبلاد النُّوبة، وتسمى غزوة الأساودة أو غزوة الحبشة عند بعض المؤرخين، وقد وقعت هذه الغزوة سنة إحدى وثلاثين للهجرة، وقد دار قتال شديد بين أجناد المسلمين وجنود النوبة، وأصيب مجموعة من المسلمين نظراً لإجادة أهالي النوبة للرمي، وقد انتهت تلك الغزوة بصلح وقّعه عبد الله بن سعد مع أهالي النوبة بوضع جزية محددة عليهم[3].

ويعتبر عبد الله بن سعد بحق أول قائد مسلم تمكن من اقتحام النوبة، وقاتل أهلها وفرض عليهم الجزية. واستقرت الحال على ذلك في أيامه بين أهل النوبة والمسلمين، كذلك من أهم أعمال عبد الله بن سعد العسكرية غزوة ذات الصواري، وقد انتصر فيها المسلمون على الروم، وقد كانت ولاية عبد الله بن سعد على مصر محمودة على العموم لدى المصريين ولم يروا منه ما يكرهون، يقول عنه المقريزي: ومكث أميراً مدة ولاية عثمان رضي الله عنه كلها محموداً في ولايته[4].

وقال فيه الذهبي: ولم يتعدّ، لا فعل ما ينقم عليه، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم[5].

وقد كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئة مستقرة إلى أن تمكن مثيرو الفتنة من أمثال عبد الله بن سبأ من الوصول إليها وإثارة الناس فيها، فكان لهم وللمتأثرين بهم دور كبير في مقتل عثمان رضي الله عنه، كما أن الأحوال في مصر نفسها اضطربت نتيجة طرد الوالي الشرعي لها.

واستيلاء أقوام آخرين على الأمور بطريقة غير شرعية، وقد تمكنوا خلال تلك الفترة

(1) فتوح مصر وأخبارها، ص(183)؛ الولاية على البلدان (1/ 180).

(2) النجوم الزاهرة (1/ 80).

(3) الولاية على البلدان (1/ 181)؛ فتوح مصر وأخبارها، ص(188).

(4) الخطط (1/ 299).

(5) سير أعلام النبلاء (3/ 34).

من بث الكراهية في قلوب الناس لخليفتهم عثمان نتيجة مكايد قاموا بها، وأكاذيب لفقوها ونشروها[1]، سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

ولما وقعت الفتنة بمقتل عثمان رضي الله عنه اعتزلها عبد الله بن سعد وسكن عسقلان، أو الرملة في فلسطين. وروى البغوي بإسناد صحيح، عن يزيد بن أبي حبيب قال: خرج ابن أبي السرح إلى الرملة ـ بفلسطين ـ فلما كان عند الصُّبح قال: اللهم اجعل آخر عملي الصبح، فتوضأ ثم صلّى، فسلم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره، فقبض الله روحه[2].

سادساً: مروان بن الحكم، ووالده:

كان مروان بن الحكم من أخص أقرباء عثمان به، وأوثقهم صلة بمركز الخلافة، وألصقهم بالأحداث التي عصفت بالوحدة الإسلامية، في عهد عثمان رضي الله عنه، فكان منه بمنزلة كاتم سر الدولة، أو حامل ختم الملك[3]، ولم يكن مروان بالتأكيد المستشار الأوحد للخليفة الذي كان يستشير كبار الصحابة وصغارهم، ولم يكن بمعزل عن قادة الرأي في مجتمع الإسلام، وكذلك لم يكن مروان الوزير الذي تجمعت تحت يده سلطات الدولة، إنما كان كاتباً للخليفة، وهي وظيفة تستمد أهميتها من قرب صاحبها من أذن الخليفة وخاتمه، أما ادعاء توريطه عثمان وإثارة الناس عليه لتنقل الخلافة بعد ذلك إلى بني أمية، فافتراض لا دليل عليه، ولم تنتقل الخلافة إلى بني أمية إلا بعد أهوال جسام لم يكن لمروان فيها دور خطير، ثم إن عثمان لم يكن ضعيف الشخصية حتى يتمكن منه كاتبه إلى الحد الذي يتصوره الرواة[4]، ولا ذنب لمروان بن الحكم إن كان في حياة الرسول ﷺ لم يبلغ الحلم باتفاق أهل العلم، بل غايته أن يكون له عشر سنين أو قريب منها، وكان مسلماً، يقرأ القرآن ويتفقه في الدين، ولم يكن قبل الفتنة معروفاً بشيء يعاب فيه، فلا ذنب لعثمان في استكتابه، وأما الفتنة فأصابت مَن هو أفضل من

(1) الولاية على البلدان (1/ 186).

(2) الإصابة ترجمة (4711)، سير أعلام النبلاء (3/ 35).

(3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(117).

(4) الدولة الأموية المفترى عليها، حمدي شاهين، ص(160).

مروان[1]، بل إن خبر طرد النبي ﷺ لأبيه ضعيف سنداً ومتناً، وتعقبه شيخ الإسلام ابن تيمية، فأوضح تهافته وضعفه[2]، وعرف عن مروان بن الحكم العلم والفقه والعدل، فقد كان سيداً من سادات شباب قريش لمّا علا نجمه أيام عثمان بن عفان، وقد شهد له الإمام مالك بالفقه، واحتج بقضائه وفتاواه في مواطن عديدة من كتاب الموطأ، كما وردت في غيره من كتب السنة المتداولة في أيدي الأئمة المسلمين يعملون بها[3]، وكان الإمام أحمد يقول: يقال: كان عند مروان قضاء، وكان يتتبع قضايا عمر بن الخطاب[4]، وكان مروان من أقرأ الناس للقرآن، كما كان له رواية للحديث الشريف حيث روى عن بعض مشاهير الصحابة، وروى عنه بعضهم، وكما روى عنه بعض التابعين[5]، وكان حريصاً على تحري السنة والعمل بها.

روى الليث بن سعد، فقيه مصر، بسنده قال: شهد مروان جنازة، فلما صلّى عليها انصرف، فقال أبو هريرة: أصاب قيراطاً وحُرم قيراطاً (أي الأجر والثواب، كما ورد في حديث شريف)[6]، فأخبر بذلك مروان فأقبل يجري حتى بدت ركبتاه، فقعد حتى أذن له[7].

وجاء في مقدمة فتح الباري: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عم عثمان بن عفان، يقال له رؤية ـ يعني رؤية الرسول ﷺ ـ فإن ثبتت، فلا يعرج على مَن تكلم فيه[8].

وكان يقول ابن كثير: وهو صحابي عند طائفة كثيرة، لأنه ولد في حياة النبي ﷺ[9]، وقد ولّى مروان المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فكان شديداً على أهل الفسوق بها، حرباً

(1) منهاج السنّة (3/ 197).
(2) المصدر نفسه (3/ 195، 196).
(3) الدولة الأموية المفترى عليها، ص(169).
(4) البداية والنهاية (8/ 260).
(5) المصدر نفسه.
(6) المصدر نفسه (8/ 260)؛ المسند رقم (4453 ـ 4650).
(7) الدولة الأموية المفترى عليها، ص(200)؛ البداية والنهاية (8/ 260).
(8) فتح الباري (2/ 164)؛ أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص(254).
(9) البداية والنهاية (8/ 259).

على مظاهر الترف والتخنث[1]، عادلاً مع رعيته، حذراً من مجاملة ذوي قرباه، أو مَن يحاول منهم استغلال نفوذه، فقد لطم أخوه عبد الرحمن بن الحكم مولى لأهل المدينة يعمل حناطاً ـ أثناء فترة ولاية مروان على المدينة ـ فشكا الحناط إلى مروان، فأتى بأخيه عبد الرحمن، وأجلسه بين يدي الحناط، وقال له: الطمه، فقال الحناط: والله ما أردت هذا! وإنما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرني عليه، وقد وهبتها لك، فقال: لست أقبلها منك، فخذ حقك، فقال: والله لا ألطمه، ولكن أهبها لك، ولست والله لاطمه، فقال مروان: لست والله قابلها، فإن وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عزَّ وعلا، قال: قد وهبتها لله تعالى، فقال عبد الرحمن شعراً يهجو أخاه مروان لذلك[2].

إن هذه الصورة المشرقة عن علم مروان وعدله وفقهه، وتدينه، تكاد تختلف تماماً عن تلك الصورة الكريهة التي يقدمها عنه معظم المؤرخين والرواة، الذين اجتهدوا لتشويه حياة الرجل، فلما حانت وفاته اجتهدوا أيضاً لتشويهها، فزعموا أن امرأته ـ أم خالد بن يزيد بن معاوية ـ خنقته بوسادتها، أو دست له السم، لما سبّ ابنها ـ بزعمهم ـ أمام جماعة من الناس، وهذه القصة ومع ما تحتويه من عناصر متناقضة تبدو لأول وهلة وكأنها أسطورة اخترعتها مخيلات عجائز القوم ثم رددتها الألسن، إما حباً في الثرثرة، أو لتنال من سمعة هذه الأسرة الرفيعة المكانة، حسداً لما وصلت إليه من مجد[3]، فهل كان موته طبيعياً، أم مات بإصابة الطاعون، أم خنقته زوجته؟ إن تناقض الروايات دليل على أن الحقيقة غير معروفة، والروايات التي تزعم أن زوجته هي التي اغتالته مباشرة أو بالواسطة (عن طريق بعض جواريها) غير مقبولة أو معقولة، فهذه الزوجة سيدة شريفة من بيت عبد شمس، وزوجها قريبها، وهو خليفة، وهي كانت زوجة خليفة وأم خليفة (وهو معاوية بن يزيد بن معاوية) وهو عمل لا تقدم النساء الشريفات عليه، ثم إننا لم نر أي أثر لهذا الاغتيال، فلم يحدث في الأسرة أي خلاف، ولا مطالبة بالثأر، وظل خالد على مكانته عند عبد الملك، كما أن الدافع لا يكفي بحال لارتكاب جريمة القتل[4]، وذكر

(1) الدولة الأموية المفترى عليها، ص(200).
(2) الدولة الأموية المفترى عليها، ص(200).
(3) عبد الملك بن مروان، د. الريس، ص(112).
(4) الدولة الأموية المفترى عليها، ص(201).

عن بعض أهل العلم أنه قال: كانه آخر كلام تكلم به مروان: وجبت الجنة لمن خاف النار، وكان نقش خاتمه: العزة لله، وقيل: آمنت بالعزيز الرحيم[1]، وقال ابن القيم: أحاديث ذم الوليد، وذم مروان بن الحكم كذب[2].

سابعاً: هل جامل عثمان أحداً من أقاربه على حساب المسلمين؟

لو كان عثمان رضي الله عنه قد أراد أن يجامل أحداً من أقاربه على حساب المسلمين، لكان ربيبه محمد بن أبي حذيفة أولى الناس بهذه المجاملة، ولكن الخليفة أبى أن يوليه شيئاً ليس كفؤاً له بقوله: يا بنيّ! لو كنت رضاً ثم سألتني العمل لاستعملتك، ولكن لست هناك[3]. ولم يكن ذلك كراهية له، ولا نفوراً منه، وإلاّ لما جهّزه من عنده وحمله وأعطاه حين استأذن في الخروج إلى مصر[4].

وأما استعمال الأحداث فكان لعثمان رضي الله عنه في رسول الله أسوة حسنة، فقد جهزّ جيشاً لغزو الروم في آخر حياته واستعمل عليه أسامة بن زيد رضي الله عنهما[5].

وعندما توفي الرسول ﷺ تمسك الصدّيق رضي الله عنه بإنفاذ هذا الجيش، لكنّ بعض الصحابة رغبوا في تغيير أسامة بقائد أحسن منه، فكلموا عمر في ذلك ليكلم أبا بكر، فغضب أبو بكر لمّا سمع هذه المقالة وقال لعمر: يا عمر! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله[6]. ويجيب عثمان بنفسه على هذه المآخذ أمام الملأ من الصحابة بقوله: ولم أستعمل إلا مجتمعاً، محتلماً، مرضياً، وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنهم، وهؤلاء أهل بلدهم، وقد ولّى من قبلي أحدث منهم، وقيل لرسول الله ﷺ مما قيل لي في استعماله لأسامة، أكذلك؟ قالوا: نعم يعيبون للناس ما لا يفسرون[7]، ويقول عليّ رضي الله عنه: (ولم يولِّ ـ أي عثمان ـ إلا رجلاً سوياً عدلاً، وقد ولّى رسول الله ﷺ عتّاب بن

(1) البداية والنهاية (8/ 262).

(2) المنار المنيف، ص(117)؛ فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، ص(77).

(3) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 247).

(4) المصدر نفسه (1/ 247)؛ تاريخ الطبري (5/ 416).

(5) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 427)؛ تاريخ الطبري (5/ 416).

(6) تاريخ الطبري (5/ 416).

(7) المصدر نفسه (5/ 355).

أُسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة)[1].

لم يكن ولاة الأمصار في عهد عثمان جاهلين بأمور الشرع، ولم يكونوا من المفرطين في الدين وإذا كانت لهم ذنوب، فلهم حسنات كثيرة، ومع ذلك فإن سيئات وذنوب هؤلاء كانت تعود عليهم، ولم يكن لها تأثير في المجتمع المسلم، وقد تتبعنا آثار هؤلاء الولاة أيام ولايتهم، ووجدناها عظيمة الفائدة للإسلام والمسلمين، وقد اهتدى على يدي ولاة عثمان مئات الألوف إلى الإسلام، وبسبب فتوحاتهم انضم إلى ديار الإسلام أقاليم واسعة، ولو لم يكن عند هؤلاء من الشجاعة والدين، ما يحثهم على الجهاد، ما قادوا الجيوش إلى الجهاد، وفي مظنة الهلاك، وفيه ترك الراحة ومتاع الدنيا، وقد تتبعنا سيرة هؤلاء الولاة، فوجدنا لكل واحد منهم فتحاً أو فتوحاً في الجهات التي تجاور ولايته، مع مناقب وصفات حسنة تؤهله للقيادة[2].

إن الذي يرجع إلى الصحيح الممحص من وقائع التاريخ، ويتتبع سيرة الرجال الذين استعان بهم أمير المؤمنين ذو النورين رضوان الله عليهم، وما كان لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدعوة الإسلامية، بل ما كان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمة وسعادتها، فإنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب والفخر كلما أمعن في دراسة ذلك الدور من أدوار التاريخ الإسلامي[3].

إن عثمان وولاته انشغلوا بمدافعة الأعداء وجهادهم وردهم، ولم يمنعهم ذلك من توسيع رقعة الدولة الإسلامية، ومد نفوذها في مناطق جديدة، وقد كان للولاة تأثير مباشر في أحداث الفتنة حيث كانت التهمة موجهة إليهم وأنهم اعتدوا على الناس، ولكننا لم نلمس حوادث معينة يتضح فيها هذا الاعتداء المزعوم والمشاع، كما اتهم عثمان بتولية أقاربه، وقد دحضنا تلك الفرية، وهكذا نرى أن عثمان لم يألُ جهداً في نصح الأمة وفي تولية مَن يراه أهلاً للولاية، ومع هذا فلم يسلم عثمان وولاته من اتهامات وجِّهت إليهم من قبل أصحاب الفتنة في حينها.

---

(1) البداية والنهاية (8/ 178).

(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 211).

(3) حاشية المنتقى من منهاج الاعتدال، ص(390).

كما أن عثمان رضي الله عنه لم يسلم من كثير من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة وغير المحققة عن عهد عثمان، وخصوصاً الباحثين المُحدَثين الذين يطلقون أحكاماً لا تعتمد على التحقيق، أو على وقائع محددة، يعتمدون فيها على مصادر موثوقة، فقد تورط الكثير منهم في الروايات الضعيفة والإماميّة، وبنوا أحكاماً باطلة وجائرة في حق الخليفة الراشد عثمان بن عفان، مثل طه حسين في كتابه «الفتنة الكبرى»، وراضي عبد الرحيم في كتابه «النظام الإداري والحربي»، وصبحي الصالح في كتابه «النظم الإسلامية»، ومولوي حسين في كتابه «الإدارة العربية»، وصبحي محمصاني في كتابه «تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء»، وتوفيق اليوزبكي في كتابه «دراسات في النظم العربية والإسلامية»، ومحمد الملحم في كتابه «تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري»، وبدوي عبد اللطيف في كتابه «الأحزاب السياسية في فجر الإسلام»، وأنور الرفاعي في كتابه «النظم الإسلامية»، ومحمد الريس في كتابه «النظريات السياسية»، وعلي حسني الخربوطلي في كتابه «الإسلام والخلافة»، وأبي الأعلى المودودي في كتابه «الملك والخلافة»، وسيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية» وغيرهم.

لقد كان عثمان رضي الله عنه بحق الخليفة المظلوم الذي افترى عليه خصومه الأولون ولم ينصفه المتأخرون[1].

المبحث الرابع

حقيقة العلاقة بين أبي ذرّ الغفاري وعثمان بن عفان رضي الله عنهما

أولاً: مجمل القصة:

إن مبغضي عثمان بن عفان كانوا يشنّعون عليه أنه نفى أبا ذر إلى الربذة، وزعم بعض المؤرخين، أن ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) لقي أبا ذر في الشام وأوحى إليه بمذهب القناعة والزهد، ومواساة الفقراء، ووجوب إنفاق المال الزائد عن الحاجة، وجعله يعيب معاوية، فأخذه عبادة بن الصامت إلى معاوية وقال له: هذا والله الذي بعث إليك أبا ذر، فأخرج معاوية أبا ذر من الشام[2]، وقد حاول أحمد أمين أن يوجد شبهاً

(1) الولاية على البلدان (1/ 222 ـ 232).

(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 216، 217).

بين رأي أبي ذر، ورأي مَزْدك الفارسي، وقال بأن وجه الشبه جاء من أن ابن سبأ كان في اليمن، وطوّف في العراق، وكان الفرس في اليمن والعراق، قبل الإسلام، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق واعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها[1].

وكل ما قيل في قصة أبي ذر، مما يُشنع به على عثمان بن عفان، باطل، لا يُبنى على رواية صحيحة، وكل ما قيل حول اتصال أبي ذر رضي الله عنه بابن السوداء، باطل لا محالة[2].

والصحيح: أن أبا ذر رضي الله عنه نزل في الربذة باختياره، وأن ذلك كان بسبب اجتهاد أبي ذر في فهم آية خالف فيه الصحابة، وأصرّ على رأيه، فلم يوافقه أحدٌ عليه، فطلب أن ينزل بالربذة[3] التي كان يغدو إليها زمن النبي ﷺ، ولم يكن نزوله بها نفياً قسرياً، أو إقامة جبرية، ولم يأمره الخليفة بالرجوع عن رأيه لأن له وجهاً مقبولاً، لكنه لا يجب على المسلمين الأخذ به[4]، وأصحُّ ما روي في قصة أبي ذر رضي الله عنه ما رواه البخاري في صحيحه عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: 34].

قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر عليَّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت فكنت قريباً. فذلك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت[5]، وقد

(1) فجر الإسلام، ص(110).
(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 217).
(3) كانت منزلاً في الطريق بين العراق ومكة.
(4) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 217).
(5) البخاري، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، رقم (1406).

أشار هذا الأثر إلى أمور مهمة منها:

1 ـ سأله زيد بن وهب، ليتحقق مما أشاعه مُبْغِضو عثمان: هل نفاه عثمان أو اختار أبو ذر المكان؟ فجاء سياق الكلام أنه خرج بعد أن كثر الناس عليه يسألونه عن سبب خروجه من الشام، وليس في نص الحديث أن عثمان أمره بالذهاب إلى الربذة، بل اختارها بنفسه، ويؤيد هذا ما ذكره ابن حجر عن عبد الله بن الصامت قال: دخلت مع أبي ذر على عثمان فحسر رأسه، فقال: والله ما أنا منهم ـ يعني الخوارج ـ، فقال: إنما أرسلنا إليك لتجاورنا بالمدينة، فقال: لا حاجة لي في ذلك، ائذن لي بالربذة قال: نعم[1].

2 ـ قوله: كنت بالشام: بيَّن السبب في سكناه الشام ما أخرجه أبو يعلى عن طريق زيد بن وهب: حدثني أبو ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا بلغ البناء** ـ أي المدينة ـ **سَلْعاً، فارتحل إلى الشام**» فلما بلغ البناء سلعاً قدمت الشام فسكنت بها[2]، وفي رواية قالت أم ذر: والله ما سيّر عثمان أبا ذر ـ تعني الربذة ـ ولكن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ البناء سلعاً، فاخرج منها»[3].

3 ـ إن قصة أبي ذر في المال، جاء من اجتهاده في فهم الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: 34، 35] . وروى البخاري عن أبي ذر ما يدلُّ على أنه فسر الوعيد ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ الآية. . . وكان يخوّف الناس به، فعن الأحنف بن قيس حَدَّثَهُمْ قال: جلستُ إلى ملإ من قريش، فجاء رجل خَشِنُ الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم، فسلَّم، ثم قال: بشّر الكانزين برَضْفٍ[4] يُحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضَعُ على حَلَمة ثَدْي

(1) فتح الباري (3/ 274).
(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 219).
(3) سير أعلام النبلاء (2/ 72) صحيح الإسناد.
(4) الرضف: الحجارة المحماة واحدها رضفة.

أحدهم، حتى يخرج من نُغْضِ[1] كتفه، ويوضع على نُغْضِ كتفه حتى يخرج من حَلَمة ثديه، يتزلزل[2].

ثم ولّى فجلس إلى سارية، وتَبِعْته وجلست إليه وأنا لا أدري مَن هو فقلت له: لا أُرَى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئاً...

واستدل أبو ذر رضي الله عنه بقول رسول الله ﷺ: «**ما أحبُّ أن لي مثل أُحد ذهباً، أنفقه كُلَّه، إلا ثلاثة دنانير**»[3].

4 ـ وقد خالف جمهور الصحابة أبا ذر، وحملوا الوعيد على مانعي الزكاة واستدلوا على ذلك بالحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: «**ليس فيما دون خمس أواقٍ صدقة، وليس فيما دون خمس ذودٍ صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسقٍ صدقة**»[4] وقال الحافظ ابن حجر: ومفهوم الحديث أن ما زاد على الخمس ففيه صدقة، ومقتضاه: أن كل مال أخرجت منه الصدقة، فلا وعيد على صاحبه، فلا يسمّى ما يَفْضُل بعد إخراجه الصدقة كنزاً[5]، وقال ابن زيد: فإن ما دون الخمس لا تجب فيه الزكاة، وقد عفي عن الحق فيه فليس بكنز قطعاً، والله قد أثنى على فاعل الزكاة، ومَن أثنى عليه في واجب حق المال لم يلحقه ذم من جهة ما أثنى عليه فيه، وهو المال[6]، قال الحافظ: ويتلخص أن يقال: ما لم تجب فيه الصدقة لا يسمى كنزاً، لأنه معفو عنه، فليكن ما أخرجت منه الزكاة كذلك لأنه عفي عنه بإخراج ما وجب منه فلا يسمى كنزاً[7].

وقال ابن عبد البر: والجمهور على أن الكنز المذموم ما لم تؤد زكاته، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**إذا أديت زكاة مالك، فقد قضيت ما عليك**...» ولم

(1) نغض: العظم الدقيق الذي على طرف الكتف أو على أعلى الكتف.
(2) يتزلزل: يضطرب وينحرك.
(3) البخاري، كتاب الزكاة رقم (1407).
(4) البخاري، كتاب الزكاة رقم (1405).
(5) فتح الباري (3/ 272).
(6) فتنة مقتل عثمان (1/ 107).
(7) المصدر نفسه.

يخالف في ذلك إلا طائفة من أهل الزهد كأبي ذر[1].

5 ـ ولعلّ مما يفسر مذهب أبي ذر في الإنفاق، ما رواه الإمام أحمد عن شداد بن أوس، قال: كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله ﷺ فيه الشدة ثم يخرج إلى قومه، يسلّم، لعله يشدّد عليهم ثم إن رسول الله ﷺ يرخص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذر، فيتعلق أبو ذر بالأمر الشديد[2].

6 ـ قوله: إن شئت تنحيت فكنت قريباً، يدل على أن عثمان طلب من أبي ذر أن يتنحّى عن المدينة، برفق، ولم يأمره، ولم يحدد له المكان الذي يخرج إليه، ولو رفض أبو ذر الخروج ما أجبره عثمان على ذلك، ولكن أبا ذر كان مطيعاً للخليفة، لأنه قال في نهاية الحديث: لو أمروا عليّ حبشياً لسمعت وأطعت[3].

ومما يدل على أنه يمقت الفتنة والخروج على الإمام المبايع، ما رواه ابن سعد في أن ناساً من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة: إنّ هذا الرجل فعل بك وفعل، هل أنت ناصب له راية؟ ـ يعني مقاتله ـ فقال: لا! لو أن عثمان سيّرني من المشرق إلى المغرب؛ لسمعت وأطعت[4].

7 ـ والسبب في تنحي أبي ذر عن المدينة، أو طلب عثمان منه ذلك، أن الفتنة بدأت تطلُّ برأسها في الأقاليم، وأشاع المبغضون الأقاويل الملفقة، وأرادوا أن يستفيدوا من إنكار أبي ذر متعلقاً برأيه ومذهبه، ولا يريد أن يفارقه، فرأى عثمان رضي الله عنه تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة، لأن في بقاء أبي ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بثّ علمه في طلاب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة.

8 ـ قال أبو بكر ابن العربي: كان أبو ذر زاهداً، ويرى الناس يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين

(1) فتح الباري (3/ 273).

(2) المسند (5/ 125).

(3) البخاري (1406).

(4) الطبقات (4/ 227).

أيديهم، وهو غير لازم، فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: لو اعتزلت. معناه إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس...

ومَن كان على طريقة أبي ذر فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه أو يخالط الناس، ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج زاهداً فاضلاً، وترك جلّة فضلاء، وكلٌّ على خير وبركة وفضل، وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل[1].

وقال ابن العربي: ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام، وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً قاضياً لهم (في الشام) فلما اشتدَّ في الحق وأخرج طريقة عمر بن الخطاب في قوم لم يحتملوها، عزلوه، فخرج إلى المدينة، وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال، وأبو الدرداء وأبو ذر بريئان من كل عيب، وعثمان بريء أعظم براءة، وأكثر نزاهة، فمن روي أنه نفى وروي سبأ فهو كله باطل[2].

9 ـ ولم يقل أحد من الصحابة لأبي ذر: إنه أخطأ في رأيه، لأنه مذهب محمود لمن يقدر عليه، ولم يأمر عثمان أبا ذر بالرجوع عن مذهبه، وإنما طلب منه أن يكفَّ عن الإنكار على الناس ما هم فيه من المتاع الحلال...، ومَن روى أن عثمان نهى أبا ذر عن الفتيا مطلقاً، لم تصل روايته إلى درجة الخبر الصحيح[3]. والذي صحّ عند البخاري أن أبا ذر قال: لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أُنفذُ كلمة سمعتها من النبي ﷺ قبل أن تجيزوا عليَّ، لأنفذتها[4]. وفي البخاري، لم يرو أن عثمان نهى أبا ذر عن الفتيا، لأن نهي الصحابي عن الفتيا دون تحديد الموضوع، أمر ليس بالهين[5].

(1) العواصم من القواصم، ص(77).
(2) المصدر نفسه، ص(79).
(3) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 223).
(4) البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (1/ 29).
(5) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 224).

10 ـ ولو كان عثمان نهاه عن الفتيا مطلقاً، لاختار له مكاناً لا يرى فيه الناس، أو حبسه في المدينة، أو منعه دخول المدينة، ولكن أذن له بالنزول في منزل يكثر مرور الناس به، لأن الربذة كانت منزلاً من منازل الحاج العراقي، وكان أبو ذر يتعاهد المدينة، يصلي في مسجد رسول الله ﷺ. وقال له عثمان: لو تنحيت فكنت قريباً.

والربذة ليست بعيدة عن المدينة، وكان يجاورها حمى الربذة الذي ترعى فيه إبل الصدقة، ولذلك يروى أن عثمان أقطعه صرمة من إبل الصدقة، وأعطاه مملوكين، وأجرى عليه رزقاً. وكانت الربذة أحسن المنازل في طريق مكة[1].
وبعد أن ذكر الإمام الطبري الأخبار التي تفيد اعتزال أبي ذر من تلقاء نفسه، قال: وأما الآخرون فإنّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأموراً شنيعة كرهت ذكرها[2].

إن الحقيقة التاريخية تقول إن عثمان رضي الله عنه لم ينف أبا ذر رضي الله عنه إنما استأذنه، فأذن له، ولكن أعداء عثمان رضي الله عنه كانوا يشيعون عليه بأنه نفاه، ولذلك لما سأل غالب القطان، الحسن البصري: عثمان أخرج أبا ذر؟ قال الحسن: لا، معاذ الله[3]! وكل ما روي في أن عثمان نفاه إلى الربذة، فإنه ضعيف الإسناد لا يخلو من علة قادحة، مع ما في متنه من نكارة لمخالفته للمرويات الصحيحة والحسنة، التي تبين أن أبا ذر استأذن للخروج إلى الربذة وأن عثمان أذن له[4]، بل إن عثمان أرسل يطلبه من الشام، ليجاوره بالمدينة، فقد قال له عندما قدم من الشام: إنا أرسلنا إليك لخير، لتجاورنا بالمدينة[5]. وقال له أيضاً: كن عندي تغدو عليك وتروح اللقاح[6]، أفمن يقول ذلك له ينفيه[7]؟

ولم تنص على نفيه إلا رواية رواها ابن سعد، وفيها بريدة بن سفيان الأسلمي،

(1) تاريخ الطبري (5/ 286).
(2) المصدر نفسه (5/ 288).
(3) تاريخ المدينة، ابن شبة، ص(1037) إسناده صحيح.
(4) فتنة مقتل عثمان (1/ 110).
(5) تاريخ المدينة، ص(1036، 1037) إسناده حسن.
(6) الطبقات ابن سعد (4/ 226، 227).
(7) فتنة مقتل عثمان (1/ 111).

الذي قال عنه الحافظ ابن حجر: ليس بالقوي وفيه رفضٌ. فهل تقبل رواية ابن سعد التي تتعارض مع الروايات الصحيحة والحسنة[1]، واستغل الإماميّة هذه الحادثة أبشع استغلال، فأشاعوا أن عثمان رضي الله عنه نفى أبا ذر إلى الربذة، وأن ذلك مما عيب عليه من قبل الخارجين عليه أو أنهم سوغوا الخروج عليه[2]، وعاب عثمان رضي الله عنه بذلك ابن المطهر الحلي الإماميّ المتوفى سنة 726هـ بل زاد أن عثمان رضي الله عنه ضرب أبا ذر ضرباً وجيعاً[3]، ورد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، رداً جامعاً قوياً[4]، وكان سلف هذه الأمة يعلمون هذه الحقيقة، فإنه لما قيل للحسن البصرى: عثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا، معاذ الله[5]!

وكان ابن سيرين إذا ذُكر له أن عثمان رضي الله عنه سيّر أبا ذر، أخذه أمر عظيم، ويقول: هو خرج من نفسه، ولم يسيره عثمان[6]، وكما تقدم في الرواية الصحيحة الإسناد أن أبا ذر رضي الله عنه لما رأى كثرة الناس عليه خشي الفتنة، فذكر ذلك لعثمان كأنه يستأذنه في الخروج، فقال له عثمان رضي الله عنه: إن شئت تنحيت، فكنت قريباً[7].

ثانياً: بطلان تأثير ابن سبأ على أبي ذر رضي الله عنه:

كتب سعيد الأفغاني في كتابه «عائشة والسياسة»، فعظم دور ابن سبأ في الفتنة، ونسب إليه كل المؤامرات والفتن والملاحم الواقعة بين الصحابة، ويرى أن هذه المؤامرة المحكمة سهر عليها أبالسة خبيرون، وسدّدوا خطاها وتعهّدوها حتى آتت ثمارها في جميع الأقطار، ولهذا كتب هذا العنوان (ابن سبأ البطل الخفي المخيف)[8]، ويبدو التهويل من شأن ابن سبأ عند الأفغاني حينما يصفه بأنه رجل على غاية من الذكاء وصدق

(1) فتنة مقتل عثمان (1/ 111).
(2) المصدر نفسه.
(3) منهاج السنّة لابن تيمية (6/ 183).
(4) المصدر نفسه (6/ 271 ـ 355).
(5) تاريخ المدينة، (1037) إسناده صحيح.
(6) المصدر نفسه.
(7) البخاري، كتاب الزكاة رقم (1406).
(8) عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، ص(60).

الفراسة، والنظر البعيد، والحيلة الواسعة، والنفاذ إلى نفسية الجماهير[1]، ويقطع أنه أحد أبطال جمعية تلمودية سرية غايتها تقويض الدولة الإسلامية[2]. ويكاد يقرر بأنه يعمل لصالح دولة الروم التي انتزع المسلمون منها لفترة قريبة قطرين هامين هما: مصر، والشام، عدا ما سواهما من بلاد أخرى على البحر المتوسط، ويستغرب نشاط ابن سبأ إلى شتى المجالات، الدينية والسياسية والحربية[3].

وهو يرى أن ابن سبأ كان موفقاً كل التوفيق في لقائه مع أبي ذر، وفي تفصيل هذه المقالة التي ركبها على مزاج أبي ذر، وأن الذي ساعده على ذلك فهمه الجيد لأمزجة الناس، واستخباراته الصادقة المنظمة[4]، وهذا الزعم ـ أي تأثير ابن سبأ على أبي ذر رضي الله عنه ـ لا أساس له من الصحة من عدة وجوه:

أ ـ حينما أرسل معاوية إلى عثمان رضي الله عنه يشكو إليه أمر أبي ذر لم تكن منه إشارة إلى تأثير ابن سبأ عليه، واكتفى أن قال: إن أبا ذر قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت[5].

ب ـ ذكر ابن كثير الخلاف الواقع بين أبي ذر ومعاوية بالشام في أكثر من موضع في كتابه، ولم يرد ابن سبأ في واحد منها[6].

ج ـ وفي صحيح البخاري ورد الحديث الذي يشير إلى أصل الخلاف بين أبي ذر ومعاوية وليس فيه الإشارة من قريب أو بعيد إلى ابن سبأ[7].

د ـ وفي أشهر الكتب التي ترجمت للصحابة ترد محاورة معاوية لأبي ذر، ثم نزوله الربذة، ولكن شيئاً من تأثير ابن سبأ على أبي ذر لا يذكر[8].

هـ ـ بل ورد الخبر في الطبري هكذا... فأما العاذرون معاوية في ذلك ـ يعني

(1) عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، ص(60).
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه.
(4) عائشة والسياسة، ص(60).
(5) تاريخ الطبري (5/ 285).
(6) البداية والنهاية (7/ 170 ـ 180).
(7) البخاري رقم (1406).
(8) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، سليمان العوده، ص(51).

إشخاص معاوية أبا ذر إلى المدينة ـ فذكروا في ذلك قصة ورود ابن السوداء الشام ولقياه أبا ذر إلخ[1]... وهذا الخبر الذي أورده الطبري، ساقط وكاذب، تكذبه وقائع التاريخ الزمنية، وإليك البيان:

- يذكرون أن ابن سبأ أسلم في عهد عثمان، وكان يهودياً من اليمن، وبدأ نشاطه المخرّب في الحجاز، ولكنهم لم يذكروا أنه التقى أحداً، أو التقاه أحد في الحجاز.
- كان أول ظهوره في البصرة، بعد أن تولى عبد الله بن عامر عليها بثلاث سنوات، وعبد الله بن عامر جاء بعد أبي موسى الأشعري سنة 29هـ، وبهذا يكون ظهوره في البصرة 32هـ، وقد طرده ابن عامر من البصرة يوم عرفة.
- قالوا: إنه توجه إلى الكوفة، فباض وفرخ، وحرض على معاوية: ولابد أنه مكث زمناً في الشام ليتعرف على أحوال الرجال، ويضع خططه ليبث دعوته فيهم، ولنفرض جدلاً أنه عرف أمره في الشام في أواخر سنة 33هـ، فماذا تقول أيها القارئ إذا عرفت أن الروايات الصحيحة تقول: إن أبا ذر كانت مناظرته لمعاوية سنة 30هـ، وأنه رجع إلى المدينة، وتوفي بالربذة سنة 31هـ أو سنة 32هـ، ومعنى هذا أن ابن سبأ ظهر في وقت كان فيه أبو ذر ميتاً، فكيف وأين التقاه؟[2].

إن أبا ذر رضي الله عنه لم يتأثر لا من قريب ولا من بعيد بآراء عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد أقام بالربذة حتى توفي، ولم يحضر شيئاً مما وقع في الفتن[3]، ثم هو قد روى حديثاً من أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة[4].

ثالثاً: وفاة أبي ذر رضي الله عنه وضم عثمان عياله إلى عياله:

في غزوة تبوك قيل لرسول الله ﷺ، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال:

---

(1) تاريخ الطبري (5/ 285).

(2) المدينة المنورة فجر الإسلام (2/ 225).

(3) أحداث الفتنة الأولى بين الصحابة في ضوء قواعد الجرح والتعديل، د. عبد العزيز دخان، ص(174).

(4) المصدر نفسه.

«دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» وتلوّم[1] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر»[2]. فلما تأمَّله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»[3]، ومضى الزمان وجاء عهد عثمان، وأقام أبو ذر في الربذة، فلما حضرته الوفاة أوصى امرأته وغلامه: إذا متُّ فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك، فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده ويبعث وحده»[4]، فغسّلوه وكفّنوه وصلّوا عليه ودفنوه، فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم ابنته: إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا، وحملوهم حتى أقدموهم إلى مكة، ونعوه إلى عثمان رضي الله عنه فضم ابنته إلى عياله[5].

وجاء في رواية... فلما دفناه دعتنا إلى الطعام، وأردنا احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير المؤمنين قريب، نستأمره، فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر، فقال: يرحم الله أبا ذر، ويغفر له نزوله الربذة، ولما صدر خرج، فأخذ طريق الربذة، فضم عياله إلى عياله، وتوجه نحو المدينة، وتوجهنا نحو العراق[6].

❑❑❑

(1) تلوّم على بعيره: تمهل.
(2) كن أبا ذر: لفظه لفظ الأمر ومعناه الدعاء: أرجو الله أن تكون أبا ذر.
(3) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 178).
(4) السيرة النبوية لابن هشام (4/ 478).
(5) التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص(87، 88).
(6) تاريخ الطبري (5/ 314).

obeikandl.com